Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

عبد الله قبرصي

نحن ولبنان

دراسة ونقد وتخطيط

o

الطبعة الاولى

تشرين الثاني

1954

عبد الله قبرصي

نحن ولبنان

دراسة ونقد وتخطيط

تشرين الثاني
١٩٥٤

956.9
Q2

16547E

الاهداء

الى كل من يحب لبنـان
حباً مخلصاً واعياً ، ويساهم في
بناء الدولة المثلى في لبنان .

تشرين الاول ١٩٥٤ عبدالله قبرصي

مقدمة

عندما يتكلم العلم يجب ان تسكت العاطفة ، وان تلجم العصبيات وان ننتظر احكام العقل الفاصلة .

في هذا البحث اردنا ان يتكلم العلم وحده ، وان يقرر العقل وحده حقيقة لبنان المطلقة ، الحقيقة التي ينهار عند اقدامها باطل المظاهر والاراجيف والادعاءات والاهواء .

وفي هذا البحث نحن ابعد ما نكون عن موقف المدافع . اننا نتحدى . ومن العز والفخر ان يتحدى الانسان ، عندما يكون سلاحه العقل والعلم ، وحججه مستقدمة من مصادر لا تشوبها اية شائبة ، مصادر « لبنانية » صرف بمعنى « اللبنانية » التي يدعيها من يسمون انفسهم لبنانيين اقحاحاً .

اننا في كل الظروف وفي كل المناسبات ، صرحنا باننا لا نقبل ان يكون في لبنان ، اكثر لبنانية منا ، نعني بذلك حباً للبنان ، واخلاصاً للبنان ، وبالتالي اكثر تعلقاً بالحقيقة التي لا يمكن لأي لبناني ان يفخر وان يعتز الا بها ، والا كان مثلنا مثل الذي يعتز بأب او أم بنيا امجادهما على الغش والخداع . ان حبنا واخلاصنا للبنان — للبنان الطليعة والعقل والنور — لم يكن يوماً حباً واخلاصاً صادراً عن مخادعة النفس او تزوير العلم او عن الجبن والخوف والمراوغة .

اننا اعدى اعداء لبنان ، بل خونة لبنـــان المستحقو نقمته وظلمه ، اذا قبلنا بان نكون جبناء ، وانحنينا امام طغيـــان الاوضاع المخالفة لناموس الحياة في وحدتها وشمولها ، فكذبنا على لبنان وعلى انفسنا ، وقلنـا بان لبنان امة ، وان لبنان هو أمة منذ خمسة آلاف سنة ، لـكي نستر خوفنا وتعصبنا . وبينما المرء يخاف الجهل نرى بعض المواطنين اللبنانيين يخافون العلم ، وبينما وجد التعصب للحق ، نرى بعض اللبنانيين يتعصبون على الحق . والذي يمرمر النفس ، ان يدعي هؤلاء انهم اللبنـانيون الواعون المخلصون للبنان ، واننا نحن الخونة المارقون . كأن لبنـــان الحقيقة ، لبنـــان العقل والنور ، يقبل ان يعكس الآية فيسمي المارق الخائن مخلصاً والمخلص مارقاً خائناً .

ولا بد من الملاحظـة ، ان هذا البحث اذا كان تحدياً للذين يخونون لبنان اذ يخادعونه عن نفسه وينافقون عليه ويريدون به شر المصائر ، فهو في الوقت نفسه نداء للمواطنين اللبنانيين الطيبين ، اللبنانيين الذين يثقون بانفسهم ، اللبنانيين الذين احبـوا الارز والمردة لانهم يحبون البطولة ويمارسونها ، ولأنهم اباة اعزة ، ما لانوا ولا جبنوا ولا هانوا . اللبنانيـــين الذين صفت نفوسهم وقلوبهم ، فما ملكوا شيئاً الا وكان رهن العطاء . اسخياء حتى بالدماء التي في عروقهم ، يعطونها متى احبوا لمن احبوا . اذكياء ، حتى في اكواخهم ظرافة وكياسة ، لباقة واناقة ، نور وايمـان . راعيهم شاعر وموسيقار ، وشاعرهم مزمار الآلهة على الارض . اللبنانيين الذين انعكست في عقولهم وقلوبهم جمـالات كونهم ،

فكانما انسكبت فيها مع كل نسمة وجرعة ماء. هؤلاء المواطنين الذين ما بعدت عنهم شمس مزارا، يتسارعون الى الآفاق، فما اكتشفوا افقاً حتى كشفوا بعده آفاقا، وفي كل كشف فتح لهم جديد وعمران جديد.

اجل، ان هذا البحث نداء حار، مشبوب اللهفة منطلق من اعماق الاعماق. انه من صدر لبناني، من صميم لبنان، من صميم المعاني التي تغمر جو لبنان وتربة لبنان، فاذا هو جملة كلما رددتها وجدت معنى جديداً، كأنما تخفي احجاره وعيونه في كل منها، شبكة الهام، ومستوحى فكر وحب وجمال.

ليقرأ هنا كل لبناني، كيف يجب ان يفكر ليصح ان يكون لبنانياً. ليقرأ هنا اللبناني شيئاً من تاريخه، شيئاً من واقعه، شيئاً من اقوال ربه وكتّابه ومؤلفيه. ليقرأ ما يقوله العقل، ما تقوله الحياة، ما توحي به الطبيعة. ليقرأ بإمعان وروية وتجرد. نحن مؤمنون ان الذكاء اللبناني، الفهم اللبناني، المصلحة اللبنانية لا بد واجدة هنا ما يقنع. واجدة هنا ما يجب ان تؤمن به، ان تعمل له. واجدة هنا الحقيقة الاخيرة التي هي حقيقتها. هذه الحقيقة التي بعثها سعاده العظيم فاقتنعنا بها. ولعلنا قادرون ان نقنع من لم يقتنع بعد، ونحن لا نطلب ولا نتوخى ولا نريد اولا وأخيرا الا مصير المجد لامتنا ومنها لبنان، لبنان الذي اراده سعاده واردناه القائد. لبنان الطليعة والعقل والفتوحات. لبنان العز والحياة لا لبنان الذل والخوف والموت الذي يعمل له سوانا، ويريد ان يطلب له حماية حراب غريبة ولو كانت حراب

«الشيطان» ، وهي بالفعل الحراب العدوة التي عرقلت حتى الآن تطوره نحو واقعه الطبيعي واوجدت فيه اسباب الخراب والتفرقة .

ان القومية الاجتماعية كشف لبناني ، وتحقيق لبناني في الاساس . وانها يجب ان تكون من مفاخر لبنان ومصادر اعتزازه . فاذا كان عهد الطغيان قد اعدم الرجل العظيم الذي كشفها وعلم بها فان هذا العهد ، يجب ان يفسح لها المجال لتنطلق حركة علنية ، لتكمل في ظل القانون اللبناني ، الرسالة التي نبتت في لبنان ، وان يعيد الى المواطنين الاحرار الذين قاتلوا من اجل لبنان وشردوا وسجنوا من اجل نهضته ، حقوقهم وحريتهم .

لقد قلت مرة للوزير اللبناني صديقي الاستاذ شارل حلو : لو ثبت لي ولرفقائي القوميين الاجتماعيين ، بان في عقيدتنا القومية الاجتماعية اضراراً ليس بالمواطن اللبناني ، بل بالصخور في لبنان ، لنقمنا على انفسنا وتخلصنا من اجسادنا البالية ، لاننا ونحن من هذه التربة اللبنانية المباركة نأبى الا ان نكون مصدر خير وحياة عزيزة لهذا الجزء الغالي الجميل من وطننا السوري .

ان سوريانا ، سوريا لبنان ، سوريا الاردن وفلسطين والشام والعراق ، هي نفس سوريا جبران خليل جبران وسليمان البستاني وامين الريحاني واسكندر عمون وندره مطران والمطران يوسف الدبس . هي سوريا التاريخ والجغرافيا ، هي سوريا الخالق الاله العظيم .

وان كلمة تحيا سوريا ، هي التي تنفجر من اعماق اللبناني

المحب للبنان ، لانها تعني في نفسه يحيا لبنان ، اذ كيف يمكن ان تحيا العراق والشام والاردن وفلسطين ويموت لبنان ، لبنان القلب والرأس .

ان كل قومي اجتماعي يهتف من اعماق صدره يحيا لبنان ، لان حياة لبنان ضرورية لحياة باقي اجزاء الوطن السوري ، الوطن السوري الذي ستقرأ عنه في هذا البحث اقوالا لبنانية من قادة الفكر في لبنان في الجيل الذي مضى والجيل الذي لا نزال فيه ، واقوالاً اخرى يهتف بها التاريخ والعلم في عقلك ، فلا تستطيع الا ان تؤمن بما نؤمن وتحارب للقضية التي من اجلها نحارب .

اننا نكتب لك هذا البحث لا دفاعاً في محكمة لكي يقال انه للتأثير على القضاة، ولا لدعاية انتخابية ، ولا استدراراً لعطف. انها الحقيقة التي اعلناها مراراً وتكراراً وقد أولها اعداؤك واعداؤنا. اننا نطمح لأن تصبح هذه الحقيقة حقيقتك ايضاً ، حقيقة كل مواطن يريد ان يكون واعياً ، يريد ان يخدم بلاده وان يحبها وان يعمل لحياتها وتقدمها وعمرانها وقوتها .

بيروت ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٥٤

عبد الله قبرصي

لبنان : جبـل يعرف ببر الشام .

الشام : بلاد تعرف بسوريا .

قاموس المنجد
للأب لويس شيخو اليسوعي

الفصل الاول

لبنان في واقعه التاريخي ـ الجغرافي

لبنان في واقعه التاريخي ـ الجغرافي ـ الاقتصادي ـ الاجتماعي سوري . انه جبل من جبال سوريا وسواحله موانىء سورية.

لو رجعنا الى قدماء المؤرخين لوجدنا ان هيرودوت يسمي بلادنا سورية ومن ضمنها لبنان .

ولو عدنا الى الانجيل لقرأنا في انجيل متى، الاصحاح الخامس: وجاءت اليه امرأة يونانية من فينيقيا ـ سوريا .

لنفتح كتاب تاريخ سوريا للمثلث الرحمات المطران يوسف الدبس ، رئيس اساقفة بيروت الماروني ، المجلد الاول ، المطبوع في المطبعة العمومية الكاثوليكية سنة ١٨٩٣ .

جاء في الصفحة الثانية تحت عنوان ـ في تخوم سوريا، ما يلي:

بسطت تخوم سورية تارة وضاقت اخرى بحسب تقلب الايام والدول فيها . فكانت تشمل احيانا ما بين النهرين وارمينيا وبعض آسيا الصغرى وبعض بلاد العرب وتضيق احيانا عن هذه التخوم . الذي نتعمد الان الكلام فيه يحده شمالاً آسيا الصغرى من خليج الاسكندرون الى نهر الفرات والبادية الى بلادالعرب، وجنوبا قسم من العربية يسمى التيه الى تخوم مصر ، وغربا البحر

المتوسط المسمى بحر الروم وكان القدماء يقسمونها الى سورية بحصر اللفظ ويريدون بذلك قسمها الشمالي وبعض الشرقي ، والى فينيقى وهي على الاصح من ارواد الى جبل الكرمل مع بعض لبنان ، والى فلسطين وهي ما يلي فينيقى الى الجنوب والى نهر الاردن . وكانوا يقسمون سوريا ايضاً الى كوماجان وهي ما فيها حلب الى نهر الفرات والى سوريا المجوفة ويريدون بها السهول الواقعة بين لبنان الشرقي ولبنان الغربي ويعبرون عنها احيانا باسم سورية الاولى الى الشمال وهي ما فيها انطاكية وسورية الثانية وهي ما فيها حماه ، وسورية الثالثة وهي ما فيها دمشق وجبل لبنان وهذه البلاد تشمل الان القسم الاكبر من ولاية حلب ثم ولايتي دمشق او سورية وبيروت ومتصرفيتي لبنان والقدس الشريف .

ويعدد جبال سوريا ويقول :

.... ثم تبتدىء سلسلة جبل لبنان ممتدة الى الجنوب الغربي اي ان تنتهي في وادي الليطاني عند قلعة الشقيف . وتبتدىء سلسلة اخرى تمتد جنوباً الى نواحي صفد والناصرة وتنحرف شرقاً الى نابلس وبين هذه الجبال وجبل الكرمل مرج ابن عامر. واما لبنان الشرقي فيبتدىء من الشمال على مرحلة من حمص ويمتد الى الجنوب الغربي وبينه وبين لبنان الغربي سهول بعلبك وبقاع العزيز .

وعندما يتكلم عن انهر سوريا يقول : صفحة ٥ و ٦

اما الانهر في سوريا فأشهرها العاصي والاردن ... ثم نهر

عكار ثم نهر البارد .

ويعدد مدن سوريا فاذا منها صفحة ٩ :

البترون وينسب بناؤها الى ايتو بعل ويليها جنوباً جبيل ويليها جنوباً بيروت ومن ثم صيدا وعكا وصور .

وفي صفحة ٢٦٦ يحدد تخوم فينيقيا :

«... لم تكن تخوم فونيقى في كل عصر واحدة فقد كانت تمتد قبل افتتاح يشوع بن نون فلسطين من تخوم انطاكيه الى غزه كما يتلخص من كلام هيرودوت وكانوا يقسمونها الى فونيقى البحرية وتشتمل على مدن سورية الساحلية وفونيقى لبنان ويشمل اسمها بعلبك ودمشق حتى تدمر . »

ولنسمع المطران الدبس يحدثنا عن قدموس (موضوع ملحمة سعيد عقل) :

.... وان العالم برو PERROU تابع لانرمان في رأيه فتسكع في غلطه وان مصدر هذا الغلط اغفال بعض العلماء ان يراعوا ان اسم فينيقى متأخر عهداً وان بعض الرجال والاحداث التي تنسب الى فينيقى في اقدم الايام لم تكن في فينيقيا بل في البلاد المتاخمة لها اي في سورية **وان اسم سوريه يشمل فينيقيا .** وان قدموس يمكن ان يكون فينيقيا وسوريا . ويخلص الى القول ان قدموس كان حثياً اي سورياً وان اسمه الاصلي قد يكون حتموس .

من هذه المقاطع — وهي لمطران ماروني من صميم لبنان — ولكن لمطران عالم ، يتكلم بوحي البحث والتنقيب والضمير

العلمي لا بوحي التعصب الطائفي ، يتبين بصراحة كلية ما اثبتـه سعاده وهو ان لبنان ، وحتى كل فينيقيا لم تكن الا سورية .

وعلى ذكر المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس ، نذكر ايضاً سيادة **المطران بولس الخوري** ،وهو كوراني الاصل من قرية بتعبوره ومطران صور وصيدا ومرجعيون وتوابعها حالياً، مشهور بثقافته العالية ، وحدة ذهنه ، وقوة حجته وطول باعه في الكتابة والخطابة .

ان سيادة **المطران بولس الخوري**، كتب في جريدة الهدية عددها العاشر الصادر في ١٩٢٣/١١/١٣ المقال التالي نصه المنشور في مجموع مقالاته المطبوعة في مطبعة السلام الصفحة ٣٢ :

«وهذه سوريا اليست وطنا لقوم من قديم الزمان ؟ اليس لقاطنيها لغة واحدة يتفاهمون بها واخلاق متشابهة فما الذي يمنعها من ان تكون امة واحدة تدعى الامة السورية ؟ ولماذا لا يقول السوريون ان جنسيتنا سورية ولماذا لا تجمعهم جامعة القوميـــة السورية ؟...

« ولو بحثنا في معنى الامة لوجدنا انها ليست الا نتيجة اجتماع عدد من البشر في بقعة واحدة من الارض دعوهـــا وطنا . وباختلاطهم مع بعضهم البعض قد اكتسبوا على مرور الايام لغة واحدة وعادات واخلاقا متشابهة يتعاونون بها على الحياة » .

هذا ما قاله المطران بولس الخوري عام ١٩٢٣ .

وهنا لا بد لنا من دراسة سريعـة للاب **لامنس اليسوعي** . فان هذا الرجل كرس قسما من حيـاته لتأليف تاريخ سوريا .

وليس يهمنا في البحث الحاضر ان نناقش الاب لامنس في هذا التاريخ كما يراه ، بل يهمنا ان نرى مكان لبنان في التاريخ السوري . ولكي نختصر القول ، نأخذ اساسا للبحث محاضرة القاها الاب لامنس في بيروت ، نشرت في المجلة الفينيقية التي كان يصدرها الاستاذ شارل قرم ، عدد عيد الميلاد سنة ١٩١٩

في بدء محاضرته هذه يتكلم الاب عن سوريا الطبيعية ويستدل من كل عباراته انه يدخل في معناها لبنان . وهو يقول ان الوجدان السوري القومي كان دائماً موجوداً بالرغم من تنافر المصالح الفردية لبعض المناطق والمقاطعات والملوك والامراء .

نقرأه في محاضرته في الصفحة ١٩٨ :

— « وباديء ذي بدء ، يقول الاب لامنس ، لم اجد في الشرق كله ، بلداً يخدمه الواقع الجغرافي مثل سوريا . انني اسمع احياناً احاديث عن سوريا الصغرى وسوريا الكبرى ، ثم عن سوريا المسيحية او سوريا المحمدية **كأنما لم تكن سورية موجودة قبل المسيح او قبل النبي** . يجب ان لا ندعي الحكمة اكثر من الطبيعة . فانا منذ ان حملتني العناية الالهية على مواجهة هذا الموضوع لم اعرف الا سوريا واحدة هي سوريا الجغرافية ، سوريا التقليدية والتاريخية ، كما خلقها الخالق ، كما فهمها السترابون ، والبلين واليونان والرومان ، وكلهم شهود عدول وغرباء عن خلافات نوادينا الصغيرة . هل تريدون ان استنطق احد علماء الجغرافيا العربية للقرون الوسطى شمس الدين المقدسي ، مسلم سوري ، — ولا اقول عربي — لان سوري وعربي لا يعنيان

نفس المعنى ، ان هذا المؤلف كان يعيش في القرن العاشر وكان يقسم سوريا الى ست مناطق : حلب ، حمص ، دمشق ، الاردن ، فلسطين ، والشارات CHARRAAT . وهذه الاخيرة كان يحدها حتى تبلغ طابوق ، ومن هنا نرى ان المقدسي لم يكن ليمس وحدة سوريا . »

«لا يملك شعب في العالم، كالشعب السوري ، حدوداً واضحة هذا الوضوح . ولذلك في حماية هذه الحدود ، في هذا النطـــاق الذي خلق له ، نشأ شعب موحد هذه الوحدة الملحوظة .

«ان الملاحظ العادي يميز فوراً السوري عن جيرانه المصريين والعرب والاتراك . مثال قومي نراه اليوم كما كان يرى منـذ زمن الفراعنة في ما وصل لنا عنه من تماثيل .

«وفي سوريا تلتحم الحدود الجغرافية ، بالحدود التاريخيـــة ، والحدود الاخيرة كما اعترف بها منذ الفي سنة على الاقل . وهنا نطلب الا يناقضنا الخالطون بين القومية والدين من السوريـين انفسهم . الامة المارونية ، الامة السريانية ، الامة المنكية . هذه كلمات خبيثة توازي قولنا في اوروبا امـــة لوثرية ، وكلفينية ، وسبيرية الخ . تؤلف امماً ضمن الامة الواحدة ...

... واما الجيش الوحيد الذي كان يحسب له معاوية حسابا . الجيش المنظم على الاخص ، فقد كان مؤلفاً من السوريين ويقوده قواد سوريون . جيش قومي ، لا كجيوش العباسيين المؤلفة من الاتراك والطورانيين المأجورين . كان في هـذا الجيش القومي فرق مسيحية ، وسورية عربية ، وتنوخيون وتغالبة ، **ومردة ايضاً**

من لبنان . ان الخليفة الاموي كان يسمى **ملك سوريا** (راجع الطبرى) .

من هذه الكلمات، ومن مجمل المحاضرة التي اخذت منها ، يتبين دون لبس ولا ابهام ، ان لبنان لم يكن في التاريخ الطويل منذ اربعة الآف سنة الى اليوم ، الا جزءاً من الوطن السوري، من الامة السورية هذه الامـــة التي يمكن ان نعبر عن رأي الاب لامنس بها : انهـــا مثل الاسفنجة ، تمتص كل ما يدخلها ، ولم يتمكن فاتح واحد من امتصاصها .

ولاننا في نطـــاق التاريخ ، لن نترك البحث في ما كتب المؤرخون المعاصرون عن لبنان السوري ، دون ان نشير الى مؤلف الدكتور فيليب حتي : سوريا والسوريون من نافذة التاريخ ، وعن كتابه الاخير عن سوريا .

وقبل كل شيء نبدأ بمقدمة سلوم مكرزل صـــاحب الهدى للكتاب الاول سوريا والسوريون من نافذة التاريخ .

فقد جاء في هذه المقدمة صفحة ٦ :

« فلا بد اذن ان كلا منا يدرك بوجه اجمالي اهمية الاطلاع على تاريخ سوريا لا لأن سوريا بلاده فقط بل لان في تاريخ سوريا جزءاً غير يسير من تاريخ العالم .

وصفحة ٧ — لهذا تعد هذه النبذة النفيسة التي وضعهـــا الدكتور فيليب حتي في تاريخ سوريا من اجل الخدم التي **يمكن القيام بها في سبيل القومية السورية** . فهو قد جمع في هذه النبذة على اختصارها خلاصة كل ما تهم معرفته عن تلك البلاد العزيزة .

تراجع فيها الى اول عهد التاريخ وتتدم حتى عهد الامومة والحرب الصليبية » .

واما الدكتور فيليب حتي فاننا نأخذ من كتابه القيم الذي يثبت وحدة البلاد السورية متطعاً صغيراً يعتبر فيه اللبنانيين سوريين وهذا المقطع هو الآتي :

صفحة ٣٩ :

وعلى الاجمال نقول ان **ابناء الشام من سوريين وفلسطينيين ولبنانيين** هم من اصل سامي فالسامية هي الجامعة التي تجمع ابناء الشام باعتبار الدم والمخرج المشترك الذي يمكن ان نحولهم كلهم اليه .

وفي سياق التاريخ ايضاً يمكن ان نقدم كتاباً في تاريخ سوريا حاول مؤلفه ان يكون مؤرخاً باصول ، هو كتاب جرجي يني ، من طرابلس وصاحب مجلة المباحث المنشأة سنة ١٩٠٩ والتي استمرت تصدر في الفيحاء مدة طويلة .

في هذا التاريخ ايضاً اثبات اخر كون لبنان منطقة اومقاطعة من سوريا الطبيعية .

فقد ورد في الصفحة ٨ :

وتتصل جبال سوريا شمالا بجبال طوروس وعمان وفيها جبل لبنان الشهير ودونه في العلو جبل كاسوس او الاقرع الجاري بازائه نهر اورانتس او العاصي وكان مغطى بحرش كثيف والى شماله جبل بيريا الملاصق عمان .

وفي الصفحة ٣٠١ نقرأ ما يلي :

الا ان لبنان اسعد بقع سوريا حالا واحسنها خصبا واوفرها خيرا وقد ازداد حال الزراعة سوءاً بتقدم المعارف في سوريا لان كثيرين من الاغنياء قد ارسلوا اولادهم للمدارس فلما تعلموا العلم ابتعدت الزراعة عن افكارهم .

ونقرأ في الصفحة ٤٢٧ :

« وذكر ملتون الشاعر الانكليزي المشهور في قصيدته المشهورة «الفردوس المفقود» ما يفهم منه ان **العذارى السوريات** كن ينحن في الصيف من كل سنة على تموز عند ذكرى جرحه وموته حينما كان النهر يحمر بلون ارجواني فيظن به القوم تذكار دم تموز المسفوك » . (اسطورة ادونيس)

والجدير بالذكر ان جرجي يني يتكلم عن كل مدن لبنان الحالية باعتبارها مدنا سورية نشأت مع العمران السوري والحضارة السورية .

وهنالك غير ذلك من المؤلفات التي نمر بها لما ما كمؤلف الدكتور فيليب حتي الضخم عن « تاريخ » سورية الذي ظهر خلال سنة ١٩٥١ ، وفي الفصل الاول منه ورد ما يلي : « تشغل سورية مركزاً فريداً في المجاري العالمية خاصة لاشتمال حدودها على فلسطين ولبنان . وقد ادت من الخدمات لتقدم البشرية ثقافياً وروحياً ما يفوق اي بلد آخر . »

وتاريخ سوريا باللغة الفرنسية لمؤلفه S.NASSI ، الذي يدرس في مدارس فرنسا الرسمية وفقا لبرامجها وجغرافية سوريا لاديب فرحات الذي تلبنن فيما بعد فعدل جغرافيته وفقاً للظروف **وقد جاء**

في صفحة ٢٣ منها :

جزر سوريا : ليس على شاطيء سوريا الا جزيرتين : جزيرة قبرص وجزيرة ارواد .

وعندما يتكلم عن جبال سوريا يقول : جبال لبنان الواقعة بين جبال النصيرية وراس الابيض وهي تقسم الى ثلاثة اقسام : جبال عكار **وجبال لبنان الوسطى** وجبل عامل في الجنوب .

وجاء في الصفحة ٧ :

تقسم سوريا اليوم الى قسمين : قسم شمالي تحت الانتداب الفرنسي وقسم جنوبي تحت انتداب انكلترا .

ويقسم الشمالي الى خمس حكومات :

حكومة لبنان الكبير ، وحكومة دمشق ، وحكومة حلب وحكومة العلويين وحكومة جبل الدروز .

وكذلك جاء في مؤلف الاستاذ سعيد حماده النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان مطبوعاً في المطبعة الاميركانية سنة ١٩٣٦ ذكر فيه سكان سوريا سنة ١٩٣٢ بقلم الكاتب روبرت فيدمر واورد المناطق السورية بالترتيب الآتي :

سكان سوريا

دولة سوريا	١،٥٦٢،٠٠٠
سنجق الاسكندرون	١٨٦،٠٠٠
الجمهورية اللبناتية	٨٥٤،٦٩٣
حكومة اللاذقية	٩٢٠،٨٤٩
حكومة جبل الدروز	٩٣،٨٨٣

وعندما يتكلم عن الهجرة السورية يقول :

ليست الهجرة السورية حديثة العهد ولكنها ترجع الى عهد الفينيقيين الذين كانوا يركبون البحار ويضربون في بلدان عدة ويؤسسون فيها المستعمرات سعياً وراء الرزق ووراء التجارة والربح . ولكن منذ سنة ١٨٦٠ اتخذت المهاجرة الى البلدان الخارجية شكلاً جديداً حتى اصبحت مشكلة خطيرة . ويعدد المهاجرين من **الدول السورية** فيذكر هذه الدول كما يلي :

الجمهورية اللبنانية ...

الدولة السورية ...

أنا من القائلين بالمحافظة
على وحدة سوريا الطبيعيـــة
وباستقلالهـا تحت حكم نيابي
وطني .

جبران خليل جبران

الفصل الثاني

نظرة كبار الادباء اللبنانيين الى لبنان

لننتقل من التاريخ والمؤرخين الى الادباء والعلماء العاملين في الحقل العام في امتنا .

لنأخذ بعضاً من نتاج اقلام المفكرين ، الذين وان يكن وعيهم لقوميتهم وحدود وطنهم لم يكن تاماً ، ناضجاً ، واضح المعالم ، الا انهم يصلحون اسانيد للتدليل على ان لبنان لم يكن في نظرهم — وهم نوابغ لبنان ورواد النهضة فيـــه — الا جزءاً من الوطن السوري .

ان اقدم من قرأت بين هؤلاء المعاصرين ، المرحوم بطرس البستاني المولود سنة ١٨١٩ في الدبية — قرب دير القمر . فصرخاته في « نفير سوريا » للاتحاد ، والشعار الذي وضعه « حب الوطن من الايمان » ترينا كيف انه وهو ابن منطقة دير القمر كان يعرف انه سوري . وفي مجلة الجنان تراه يقول : **سوريا بلادنا** .

وبعد البستاني ، قارعو ابواب النهضة ، في الجيل الماضي والحاضر فنقرأ المقاطع الآتية لامين الريحاني وجـــبران ومي زياده وفيليب حتي وداود بركات ، هؤلاء اللبنانين الذين ابصروا حقيقة امتهم وقد كانت تتململ في ضمائرهم مغمورة بالضباب ، ولكنها

كانت واضحة الملامح ، يعرفونها وتعرفهم .

قال امين الريحاني في كتابه الريحانيات الجزء الرابع « انا سوري اولاً ولبناني ثانياً وماروني بعد ذلك ، **انا مؤمن بالوحدة السورية الجغرافية** وبفصل الدين عن السياسة »وتحت عنوان « الجوع » في كتابه بلاغة العرب صفحة ٨٨ الى ١٠٠ :

« الامة المنكوبة امتنا ايها الناس ، الجياع فيها اخواننا ، الفائض عنا اليوم ، لا حق لنا به البتة . لا والله — ليس ما فاض من خيرنا اليوم لنا ، بل هو للجياع من بلادنا . ولو كنت من اولي السيادة والسلطان لاخذت اليوم من الشبعان لاطعم الجائع ، لفرضت على كل سوري مقداراً من المال يدفعه راضياً او مكرهاً .

« وماذا يضر السوري لو دفع اليوم دولاراً واحداً لاغاثة اخوانه في الوطن ؟ دولاراً واحداً على كل سوري : الفقير والغني سواء .

«واني من اصحاب الرأي لا من اصحاب السيادة . لذلك لا استطيع ان اضرب ضريبة هي حق والله على كل سوري ...

« ... فيا ايها السوري النائي عن اخوانك المنكوبين جئت اخبرك خاسفاً لا مفاخراً ، اني صمت يومين فانهكني ... اقعدني يوم واحد من الجوع ، فكيف بمن يصومون اياماً بل اسابيع .

وقال جبران خليل جبران في كتاب «العواصف» ص٩٧-٩٩:

«... وفي فم **الامة السورية** اضراس بالية سوداء قذرة ذات رائحة كريهة وقد حاول اطباؤنا تطهيرها وحشوها بالميناء والباس خارجها رقوق الذهب ولكنها لا تشفى ولن تشفى بغير

الاستئصال ..

«... ومن شاء ان يرى اضراس سوريا المسمومة فليذهب الى اطباء الاسنان ذوي الاصابع الناعمة والآلات الدقيقة والمساحيق المخدرة الذين يصرفون الايام باملاء ثقوب الاضراس المسوسة وتطهير زواياها المعتلة ...

«... ولكن اذا قال لهم **ان الامة السورية** تقضم قوت الحياة باضراس مسوسة وان كل كلمة تمتزج بلعاب مسمم وانه قد نتج عن ذلك مرض في امعائها، اذا قال هذا يجيبونه بقولهم : « نعم نحن الآن منصرفون الى احدث المساحيق واجد المخدرات » .

وقال جبران خليل جبران في كتاب « العواصف » ايضاً :

«... وما عسى تصير اليه بلادكم وبلادي ؟ واي من الجبابرة يضع يده على تلك التلال والهضبات التي انبتتنا وصيرتنا رجالاً ونساء امام الشمس ؟

هل تبقى سوريا مطروحة بين مغائر الذئاب وحظائر الخنازير او يا ترى تنتقل مع العاصفة الى عرين الاسد او ذروات النسر ؟ »

ونقرأ مي زياده . عن كتابها « كلمات واشارات » عام ١٩٢٣ :

«... اذاكرون انتم حرمات السفن **في مرافيء سورية** وجمال الثغور المنشورة على شفة البحر كالشامات البيضاء ؟

اذاكرون انتم لبنان القائم على الشط كهيكل منصوب بين الارض والسماء وكأن انواره في الظلام شموع اوقدتها يد الآمال على مذبح الحياة ؟

لكل سوري منا معارف واصدقاء وذوو قربى . اما الذي ليس له عزيز بين الاحياء والذي ليس سورية بمولده ونسبه فهو سوري برابطة امتن من هذه جميعها ، لأن روابط الموت اقوى من روابط الحياة : هو سوري بقبور موتاه ... اولئك الراحلون الذين ضمت ارضنا رفاتهم الى صدرها العطوف ، وانبتت مضاجعهم اعشاباً لدنة ترتعش في ظل السنديانة الكبيرة والصفصاف النائح في مدافن سوريا ... بسلام ايها الموتى ، ناموا بسلام وكونوا للاحياء فدى . لقد سمع المحسنون انينكم ، والمحسنون كثير . **ان السوريين النازحين يحبون أمهم الصغيرة سورية** ، القائمة وراء الازرق البعيد ، ويعرفون واجبهم في مثل هذا الموقف . وهم كما يوحيه اليهم الحب ويفرضه عليهم الواجب لفاعلون ..

امة باكملها تموت جوعاً ، هي الامة التي خرجنا منها وما زلنا ندعى باسمها . امة تحتاج الى القوت وقد تعذر عليها العمل لأنها حرمت وسائلها ، ننتظر فناها جامدين ، ام نسعى جهدنا الى الاغاثة التي تفرضها علينا ؟

الى السوريين في جميع اقطار الشرق والغرب والى كل محسن من اي جنس ودين ومذهب تسير سورية .»

ولنعد الى جبران خليل جبران ، في كتاب « البدائع والطرائف» ص. ٤٨ :

«... لو كنت طائراً في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع يصطادني ، ويزيل بجسدي ظل التبر عن جسده .

...ولكن واحر قلباه ، لست بسنبلة من القمح في سهول سورية.

وهذه هي نكبتي الصامتة التي تجعلني حقيراً امام نفسي وامام اشباح الليل ...

يقولون لي : ما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم ، وما الدموع والدماء التي هرقت في بلادك سوى قطرات من نهر الدماء والدموع المتدفق ليلاً ونهاراً في اودية الارض وسهولها..

... هل نبقى مرتابين ، مترددين ، متكاسلين ، مشغولين عن المأساة العظمى بتوافه الحياة وصغائرها ؟

ان العاطفة التي تجعلك يا اخي السوري تعطي شيئاً من حياتك، لمن يكاد ان يفقد حياته هي — هي الأمر الوحيد الذي يجعلك حريا بنور النهار وهدوء الليل ...»

وفي عدد مارس ١٩٤٣ من مجلة الهلال نشر اميل زيدان هذه الفقرة من رسالة كتبها له جبران خليل جبران حول ما كان يدور عهد ذلك ١٩١٩ — ١٩٢٢ من شؤون سياسية خطيرة تتعلق بمصير البلاد .

قال جبران :

« ... انا من القائلين بالمحافظة على وحدة سورية الجغرافية، وباستقلال البلاد تحت حكم نيابي وطني ، عندما يصبح السوريون اهلا لذلك ، اي عندما تبلغ الناشئة الجديدة اشدها . وقد يتم الامر بعد مرور خمسين سنة . وانا من القائلين بان تكون اللغة العربية هي الاولية في المدارس وفي جميع الدوائر الحكومية . ولئن وضعت سوريا تحت رعاية اميركا او فرنسا او انكلترا — او جميعهن كما يطلب بعض السوريين — فهناك امور رئيسية يجب

علينا المطالبة بها بالحاح واستمرار، **وهي وحدة سورية الجغرافية** والحكم الاهلي النيابي والتعليم الاجباري وجعل اللغة العربية الاولية الرسمية في كل آن .

« **اذا كنا لا نريد ان نضغ ونبلع ونهضم فعلينا ان نحافظ على صبغتنا السورية** ، حتى وان وضعت سوريا تحت رعاية الملائكة . انا اعتقد ان السوريين يستطيعون ان يفعلوا شيئاً مشكوراً بعد خروجهم من عهد التلمذة الى عهد التوليد » .

« بامكان الغربيين مساعدتنا عملياً واقتصاديا وزراعيا ، ولكن ليس بامكانهم ان يعطونا الاستقلال المعنوي وبدون هذا لن نصير امة حية ... والاستقلال صفة وضعية في الانسان ، وهي موجودة في السوري ، ولكنها لا تزال هاجعة .. فعلينا ايقاظها . »

وكتب جبران خليل جبران جواباً على الفيكونتس اف تونبرغ سنة ١٩١٠ وهي من المستشرقين الذين يحبون سورية والسوريين ، ما يلي :

سيدتي الكونتس : جاء في كتابك الذي تكرمت بارساله الي : اني احب سورية لانها جميلة ولجمالها خاصة معنوية تنبه في نفسي عواطف غريبة سحرية ، وتذكارات بعيدة لطيفة . واحب السوريين لانهم اذكياء وتعساء . لكنني اكره هذه الطبقة لانها تركت محاسن التمدن الشرقي القديم ومالت الى المكروه من المدنية الغربية الحديثة . فهي الان بغير لون تتميز به عن طبقات البشر .

هذه حقيقة جارحة يا سيدتي يسمعها المحافظون من الشرقيين فيحنون رقابهم متأسفين ويعيها العصريون بينهم فيبتسمون . وبين اوجاع ذلك الاسف وسخرية هذا الابتسام تقف سورية الآن موقف حائر ضائع في ملتقى السبل . اما انا فلا اتأسف جزعاً عندما ارى رقعة جديدة قذرة في ثوب سورية القديم ولا ابتسم فرحاً عندما اجد جسداً جديداً لروح عتيقة . اني انظر الى سورية نظر الابن الشفوق الى امه المريضة بعلتين علة التقليد وعلة التقاليد . ان المحافظين في سورية هم رؤساء الاديان ووجهاء القبائل وشيوخ الاسر القديمة . فرؤساء الاديان يحافظون على التقاليد لا حباً بجمالها وبساطتها بل لانهم يجدون بالمحافظة عليها بقاء سلطتهم . اما وجهاء القبائل وشيوخ الاسر فهم كرصفائهم في كل بلاد العالم يميلون بالطبع الى تاييد نفوذهم **بمصارعتهم كل روح جديدة تجيء سورية من الغرب.**»

واخيراً يقول جبران :

«وسورية كرمة قد نمت قدماً امام وجه الشمس واعطت عنباً لذيذاً تمجدت بطعمه الآلهة وخمراً سحرياً شربت منها الانسانية فسكرت ولم تصح بعد من نشوتها . واليوم بعد ان داست اقدام ابن السبيل جذوع تلك الكرمة واتلف اللصوص سياجها يمر عابر الطريق فيجدها قد اورقت ثانية واهتزت قضبانها مرتعشة بمرور نسمات الفجر . تلك معجزة لم يأت التاريخ بمثلها ولا يستعظمها سوى من عرف مآتي الاجيال التي مرت بين ايام نبوخذنصر وعهد عبد الحميد . (انتهى كلام جبران نقلا عن الصفحات ٢٦٢ – ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، من كتاب الفكر العربي الحديث لمؤلفه الاستاذ رئيف خوري) .

من عبارات هذه الرسالة يتضح بجلاء كيف ان جبران كان يرى بنظره الثاقب البعيد فعل النهضة القومية الاجتماعية الجبارة ، وايقاظها نفسية الصراع الخلاق التي عرفت بها امتنا وتهديمها التقليد والتقاليد ووضعها الاسس العلمية لانقاذ المواطنين في سائر انحاء الوطن من كل اسباب التقهقر والميعان والفساد

ان جبران خليل جبران هو السابق بالنسبة للنهضة القومية الاجتماعية .

وقال الدكتور فيليب حتي في كتاب المختارات صفحة ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧ :

« البلاد السورية يتخللها سلسلتان من الجبال العالية ، تسوغان قسمتها الى اربع شقق متوازية : الشقة الاولى هي الساحل المنبسط بجانب البحر ، ويختلف عرضه من بضعة امتار في اسفل لبنان الى بضعة كيلومترات في فلسطين. والثانية ارض جبلية ، يكون لبنان الغربي عظمة ظهرها ويرتفع الى علو ثلاثة آلاف متر . والثالثة وادي العاصي ، فالبقاع فالاردن ، وفي اسفله البحر الميت ، اوطأ بحيرة على سطح الارض ، فان انخفاضه نحو اربعمائة متر . والرابعة ارض جبلية ثابتة ، قوامها لبنان الشرقي ، واعلى قمة يعلوه ٢٧٥٠ متراً فوق سطح البحر سهل ، فجبل ، فواد ، فجبل ، تلك هي الارض السورية .

بلاد هذه شأنها تكون المواصلات فيها ووسائل النقل قليلة، متعذرة ، فشقق سورية لم ترتبط قط بعضها ببعض ارتباطاً محكماً.

اما عدم الاتصال الجغرافي، متقدمة لعدم الاتصال العقلي والاجتماعي ومن نتائجه الوقوف في سبيل التجارة، والحيلولة دون تولد الشعور العام والعقلية الاجتماعية التي لابد منها لانماء روح الوطنية والقومية.

الحلقة الاولى من سلسلة الحوادث التاريخية التي نتجت عنها حركة المهاجرين الى اميركة هي فتح ترعة السويس سنة ١٨٦٩ وكانت الحرب الاهلية الناشبة سنة ١٨٦٠ والمعروفة بحركة الستين قد الجأت بعض السوريين ان يهاجروا الى مصر، وكانت تلك الوثبة الاولى لبعضهم نحو العالم الجديد. بفتح ترعة السويس تاخرت تجارة سورية البحرية، واحكمت اسواق اوروبة عرى الاتصال بالشرق الاقصى، فاخذ الحرير السوري — وهو من اهم صادرات البلاد — يشعر بمنافسة الحرير الياباني والصيني في اسواق ليون، وبدأت اسعاره تهبط، وبتوالي الايام ازداد الضيق على الفلاح في سورية وحاول تجار الحرير السوري فتح سوق جديدة لحريرهم في اميركة، ولكن بدون جدوى ...

وقال داود بركات (رئيس تحرير الاهرام سابقاً) من كتاب «المختارات» الجزء الثاني ص ٨٨—٨٩:

«ايها السوري الذي هجر ربى لبنان ورياضه وربوع الشام ومرافقها، الى بلد انزل عليه الله الخير والنعمة، طلباً لتلك النعمة وذلك الخير ... يحييك اليوم من هاجر هجرتك واغترب غربتك ... ان لنا في تلك الارض التي هجرناها والبلاد التي انبتتنا فأحببناها عروة وثقى تجمع شملنا، بل مرجعاً واحداً يجمع شتاتنا ويوحد امانينا ...»

وهذا الاديب البعلبكي ندره مطران ، انه كتب كتابا ابان الحرب ١٩١٦ اسماه « سورية الغد » جاء في الصفحة ٧٣ منه بقلم الجنرال دي تورسي (الفرنسي) :

« ومهما قيل عن بعض اجزاء سورية وخصوصاً فلسطين ، بانها فصلت ولمدة طويلة عن الوطن الأم فان الحقيقة لا تتبدل ، **وهي ان سوريه وحدة جغرافية وعسكرية** وهي تؤلف قطراً احسنت الطبيعة تحديده . والنظرات التي استند اليها بطلب تجزئة سورية بسبب احوالها الداخلية ، هي نظرات سياسية وهي نظرات مصطنعه واصطناعها يجب ان يكون كافياً لاستبعادها .

ان سورية محاطة في جهاتهـــا الثلاث ــ الغرب والجنوب والشرق ــ بالبحر او بحوض الفرات وبالصحراوات التي قال عنها نابليون بانها تشكل حدوداً لا تفوقها حدود من حيث الدفـاع وهي في الشمال مغطاة بجبال طوروس .

وفي الصفحة ٩٧ يقول السيد ندره المطران:

ان لبنان جزء لا يتجزأ عن سورية . من الوجهة التاريخيـة والاتنية والتجارية لا يمكن تفريقه عنها . وان لبنان كان دائماً تحت سيطرة العائلات التي حكمت سورية . وكسائر مقاطعات هذه البلاد كان يحكم اقطاعيا والاقطاعي الذي كان يحكم كان خاضعا لشخص او شخصين تعينهما العائلة المالكة .

وجاء في الصفحة ٩٩ من الكتاب المذكور :

ولا يقولن قائل ان الثورات في لبنان هي دليل على تشبثه بالاستقلال الذي يتنعم به الان . فان باقي المقاطعات السورية ،

شهدت مثل هذه الثورات واكثر :

امراء حرفوش في بعلبك . الجارودیون في النبك ، الحاج يرنس والسويدانيون ، بني مطرد ، بني عطمان ، بني شلحه ، وبني علي في جبل النصيرية والاسماعيلية ، بني سيف في عكار ، الجرار والطوقان وعبد الهادي في نابلس ، بني الصغير في مرجعيون ، الخ ، الخ . كلهم حاربوا بشراسة ليدفعوا او ليتحرروا من النير الاجنبي . كل هـــؤلاء فشلوا ، اما اللبنانيون فانتصروا بالنظر لعطف اوربا عليهم .

لنصل الى الادباء والمفكرين والسياسيين الذين يعيشون بين ظهرانينا ، والذين يشغلون مراكز هامة اجتماعيـة وسياسية في هذه الجمهورية العزيزة :

لنبدأ **بالدكتور فؤاد عمون**، رئيس محكمة الجنايات في لبنان سابقاً ومدير الخارجية اللبنانية اليوم . انهذا القاضي والاداري الكبير ، وضع كتابا باللغة الفرنسية ، سنة **١٩٢٩** اسماه: **سورية الجزائية** .

ان نشر مقاطع من كتاب سوريا الجزائية لا يجب ان يكون سببا « لتفكير » فؤاد عمون عنـــد الذين يخاصمون سطحيـا ويفكرون سطحياً . انه مدعاة تقدير واحترام للرجـــل الذي يخدم لبنان الدولة اليوم ، كما يخدمه كل مواطن عاقـل مخلص والذي عندما يتكلم كعالم ورجل فكر ، يضع كل الاعتبارات العاطفية والسياسية جانبا ، وينطق باسم العلم والفكر فقط .

لنتابع الاستاذ عمون في مؤلفه « سورية الجزائية » : وبادىء

ذي بدء ، نورد مقطاً من المقدمة المكتوبة بقلم العالم الجزائي الفرنسي الكبير بيار غارو Pierre Garraud جاء فيه :

ان فؤاد عمون ، واجه المشكلة الجرمية والقانون الجزائي في سوريا ، شاملاً سوريا الجغرافية والتاريخية كلها ، بما فيه فلسطين الواقعة تحت الانتداب البريطاني ، والجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية . (صفحة ٣١)

وجاء في الصفحة ١٤٦ — ١٤٧ من الكتاب (والكلام هنا للاستاذ عمون بالذات) :

ان سوريا — كاليونان القديمة — جزئت الى دويلات غبارية Povssiereuz ولم تعرف الوحدة الا في عهد السلوقيين ، هذه الوحدة التي تضع عظمة الامم وتضمن سلامتها .

لذلك ، وسورية اليوم قديمة مثقلة بآلاف السنين ، فان جبالها الشماء تشاهد تحت اقدامها ، حيثما تتطلع من جهة او من اخرى ، ليس فقط سوريين ، ولكن لبنانيين ايضاً وعلويين ، وفلسطينيين ، وفئات اخرى ايضاً تقتسم الارض ولكنها صغيرة الى حد انه من العسير تمييزها . يجب الانطلاق من تخريج عام للعناصر التي **فصلناها في صميم الامة السورية .**

وفي الصفحة ٤٧٣ نقرأ ما يلي (رقم ٣٥٩) :

ان هذا التقدير الاسود يمكن ان يحارب بصورة فعالة . فاذا كنا قد قبلنا راضين الوضع السياسي الذي فرض علينا ، **فليس من الخطورة ان نبحث عن الاسباب التي تخفف من نتائجه العاطلة .**

« وفي الوقت التي تسعى فيه امم لا تربط بينها اية رابطة اثنية مثل بولونيا ويوغوسلافيا الخ ، تحت رعاية فرنسا وايطاليا ، لاشتراع قوانينها الجديدة على قواعد واحدة ، فان مما لا يتصوره العقل ان يتطور جزءان من امة واحدة (المناطق الواقعة تحت الانتداب الفرنسي) نحو مصيرين يختلفان ويفترقان اكثر فاكثر » .

من هذه المقاطع القصيرة — وكان بالامكان ان تبقى دون تعليق — يستنتج استنتاجاً بديهياً بان القناعة العقلية والوجدانية حاصلة عند **الاستاذ فؤاد عمون بصورة جلية تامة ان الامة السورية تشمل لبنان والشام وفلسطين والاردن** . وانه يرى في كتابه ان تطور القوانين الجزائية حتى التوحيد اذا كان ذلك مستطاعاً والا فالتلاقي والامتزاج .

ان نظرة الاستاذ عمون نظرة ناضجة ، بعيدة كل البعد عن المخاوف والاوهام التي يغذيها الجهل في خيال بعض المواطنين اللبنانيين ، فيدفعون جهلهم لتسخير العلم لنظراتهم النيورجعية الى الحياة والامة ، كأن علم نشوء الامم والتاريخ والجغرافيا تخضع صعوداً وهبوطاً لسلم العاطفة والهوى ولمقاييس الخوف والتناحر والتعصب .

ولننتقل الى مؤلف **الاستاذ بنوا ابو صوان** ، الدكتور في الحقوق الذي يمارس المحاماة في لبنان منذ مدة طويلة والمعروف بتواضعه ونضوجه واستبعاده اليوم عن كل تفكير قومي او سياسي مؤثراً العمل ضمن نطاق المهنة وحدها : ان الاستاذ ابا صوان سلمنا كتابه « **المشكلة السورية السياسية** » على شرط

ان نطالعه دون ان نطلع عليه احداً لانه كتب منذ مدة طويلة. وها نحن نذعن للطلب فلا نعرب الكتاب ولا نطلع عليه احداً ولكن نسمح لانفسنا بنشر بعض مقاطعه وهي التي تعالج القضية السورية في جوهرها لا في اعراضها ، وتؤيد بالتالي النظرة القومية الاجتماعية الى لبنان ، مع هذا الفارق ، ان المؤلف لا يقدم حلولا والقومية الاجتماعية تقدم الحل الاخير ، الضامن للحق القومي وللحياة القومية ، للبنان قبل اية منطقة اخرى .

لنسمع الاستاذ بنوا ابو صوان يتكلم في اطروحته المطبوعة في مكتبة الاجتهاد القديم والحديث ١٨ شارع سوفلو ، باريس ، سنة ١٩٢٥ الصفحة ١٩ : سورية بمعناها الكامل هي سورية التي كرستها الاعصر الخالية . ان هذا المعنى هو طبيعي ، يتجاوب مع الخصائص الاتنية للجماعات مع السكان ، ومع الحاجات الاقتصادية . عن سورية هذه علينا ان نتكلم لانه لا يمكننا البتة ان ننحني لحظة واحدة امام التقسيم الفاضح القاسي الذي **اخضعنا لمشيئته . ان سورية الحقيقية وحدة لا تتجزأ** . وليس تقسيمها من قبل بعض الرجال الاقوياء ، الجالسين حول بساط اخضر يجعلها بقطاعة **كلية بولونيا ثانية** ، يحول دون احتجاج هذه « البولونيا » على تمزيقها التعسري .

ونقرأ في الصفحة ٢٥ ما يلي :

ان المناطق السورية المختلفة مأهولة بنسبة مختلفة . ان لبنان بين هذه المناطق هو الاكثر كثافة بالنسبة لعدد سكانه .

وفي الصفحة ٧٧ يقول الدكتور ابو صوان :

في سنة ١٩١٧ ، عندما كان حديث السياسة الدولية يدور حول سورية وامكانية فصل فلسطين عنها – الامر الذي بدأ رسمياً منذ سنة ١٩١٢ – فان المحافل الدولية ذات العلاقة لم تكن تؤيد فكرة التقسيم مطلقاً . فقد كانت سورية معتبرة ومن ضمنها لبنان ، **ككل متجانس لا تنفصم عراه .**

وفي الصفحة ٢٣٨ :

اننا نفضل بان نبقى في خصوصياتنا من ان نضيع في عمارات سياسية تريد ان نستبدل **القومية السورية بالقومية العربية الوهمية .**

وفي الصفحة ٢٤٤ :

وبقطع النظر عن ضرورة تقوية الوجدان القومي السوري ، بان نلهبه بروح التضحية التي لا تزال تنقصه ، فان القومية السورية شيء اساسي جوهري ، مليء بالادراك السليم .

وفي هذه المجلة الفينيقية لصاحبها الاستاذ شارل قرم ، في عدد عيد الميلاد سنة ١٩١٩ التي اخذنا عنا محاضرة الاب لمنس ودرجنا مقتطفات منها في بدء هذا البحث ، نقرأ في الصفحة ٢٥٠ بقلم **الاستاذ ميشال تلحمه** ، مفوض الحكومة اليوم لدى المحكمة العسكرية وقد عرفناه محامياً ناضجاً وقاضياً نزيهاً ، مقالاً عن السيد اسكندر زخور من دير القمر : يصيغه بالسوري (انه يسمي ابن دير القمر سوريا) ويخاطب الجنرال غورو في الصفحة ٢٧٩ من المجلة نفسها فيقول : ان سورية اليوم محمومة حزينة . جبالها المقدسة وغابات ارزها ووديانها اجمل جواهر الشرق .

وفي مقطع آخر من القصة نفسها يقول : **تحت سماء سوريا الجميلة**

وكذلك في العدد نفسه وصف لحفلة نقابة المحامين في بيروت (ومن اعضائها آنذاك بشارة الخوري واميل اده وامين تقي الدين) .

لنسمع اول نقيب للمحامين المرحوم **الاستاذ دوماني** يخاطب المستشار الفرنسي واعضاء مجلس النقابة واعضاء مجلس النقابة وعدداً من الحضور في اول انتخاب لأول نقابة في لبنان :

يا حضرة المستشار (الكلام موجه للسيد بوتش ، المستشار العدلي للمفوضية العليا آنذاك) :

ان نقابة المحامين في بيروت ولبنان لا يسعها الا ان تذكر انكم رأستم عملية تنظيمها او بالاحرى خلقها . ان هذا العمل هو باكورة اعمالكم في **سورية** .... ان اعضاء نقابتنا سيقدمون خدمات جلى **لوطنهم ، لسوريا الجديدة السائرة الان الى مصائر مجدها بالاتفاق المكين مع فرنسا . »**

ويجيب المستشار بوتش :

« ان اولى مهمات فرنسا في سورية كانت ايجاد نقابة للمحامين . وينتخب المجلس فاذا باعضائه كما ذكرنا اعلاه ، **اميل اده ،** نجيب عبد الملك ، **بشاره الخوري ،** بولس نجيم ، البر قشوع ، امين تقي الدين .

ويعلق محرر الصفحة في المجلة على الانتخاب قائلاً : **« وهكذا ولاول مرة نشاهد تأسيس منظمة موسومة بسمة الديمومة والبقاء ، اول جسم مهني سوري » .**

من هذه التعابير ، واهمها عندي خطاب النقيب المغفور له

الدوماني ، يتضح ان الذين كانوا يتبلون بان يدعوا سوريين وان ينذروا انفسهم لتقدم وترقية وطنهم سوريا الجديدة كالرئيس اميل اده وبشاره الخوري ، هم الذين قاوموا فيما بعد ، الفكرة السورية القومية الاجتماعية الرئيس اده بتبشيره بالامة اللبنانية ، وبشاره الخوري بتوقيعه حكم اعدام سعاده وستة من رفقائه بتهمة الخيانة العظمى وبتسليطه كابوس الطغيان والسجن والتشريد على القوميين الاجتماعيين لمجرد انهم كانوا سوريين قوميين اجتماعيين يقولون بان سورية ، ومن ضمنها لبنان — امة تامة .

ومن اقوال الاديب اللبناني **الدكتور فؤاد صروف** نائب رئيس الجامعة الاميركية اليوم في كتابه « مشاهد العالم الجديد» المطبوع في المطبعة العربية بمصر سنة ١٩٢٥ نقرأ في الصفحة ٧٥ تحت عنوان : « السوريون في اميركا » .

« شارع وشنطون في نيويورك من اوله الى اخره شارع سوري على الغالب . فيه ادارة جريدتين عربيتين هما جريدتا الهدى ومرآة الغرب . وبنك لبناني ومكتبة عربية وشركة بواخر ومحل تجاري كبير هو محل آل فاعور ومطاعم تجد فيها كل ما تشتهيه من انواع الكبة والتوابل والسلطة والمجدرة وغيرها من **المآكل** السورية البحت حتى الصعتر المدقوق والفستق الحلبي المملح »

وبعد ان يتحدث عن الادباء السوريين : جبران وايليا ابو ماضي ومخائيل نعيمه وعن مرآة الغرب والهدى والسائح ، الصحف السورية في نيويورك يقول :

خمسة وعشرون سنة من الجهاد الصحافي لهي خمسة وعشرون سطرا ذهبيا في الصفحة الناصعة التي خطها **السوريون** في المهجر .

وقد كتب **الاستاذ يوسف يزبك** ، في كتابه « النفط مستعبد الشعوب » في الصفحة ١٣٥ — ١٣٦ ما يلي :

« ولعلنا نخدم مصالح الفرنسيين بتذكيرهم ذلك العهد ورجال السياسة «الصغيرة» منهم، رجال السياسة الاقليمية ، يدركون اخطاءهم من اصرارهم على **خطة التجزئة التي يرغمون البلاد السورية** على الخضوع لها . ولعل السيد بونسو معطل الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية يقرأ هذه السطور فيعلم ان سورية **كانت بلادا سياسية واحدة لا تتجزأ ولا عـــبرة لكل تجزئة طرأت** عليها منذ نهاية الحرب . لعلنا نخدم مصالح الفرنسيين اذ نذكرهم هذه الحقيقة وذلك العهد . ونذكرهم ان سورية التي تكلموا عنها في الاتفاق السري لم تكن سورية الحالية بل سورية الطبيعية السياسية الكاملة . ولقد حددها هذا التحديد الصحيح السيد «جورج اليغ » احد رؤساء الوزارة سابقاً ومن مشاهير وزراء البحر اذ القى في شهر ايار سنة ١٩١٥ خطبة ضافية في الجمعية الجغرافيـة بباريس عن مصالح فرنسا في الشرق وقد مشت هـــذه الخطبة ومشروع الحملة على الدردنيل خطوة فخطوة . قال الوزير اليغ :

« ولن يكون البحر المتوسط حراً في نظرنا ولن نظل سادته الا اذا بقيت سوريا في منطقة نفوذنا ويجب ان يفهم من ذلك اننا لا نعني سورية المشوهة المجزأة بل سورية الكاملة التي تعيش سياسياً واقتصادياً وجغرافياً ، سورية الحقيقية التي تمتد من العريش الى

طوروس ومن الموصل الشرقية الى شواطىء البحر » .

وقد سبق الرئيس اليغ في هذ التحديد قائد من كبار قواد الجيش الفرنسي هو الجنرال دي تورسي في كتابه مفكرات عن سورية الذي وضعه قبل الحرب العامة » ... (انتهى هذا المقطع من كتاب الاستاذ يزبك) .

وليس الا من النقص في القيمة الثبوتية لهذا البحث اغفالنا **الاستاذ مخائيل نعيمه** اديب لبنان الاول حالياً اسلوباً وثقافة . فان هذا الاديب الكبير ، الذي لا يؤمن بقوميتنا وله مدرسة انسانية لا تعترف بالقوميات والمجتمعات الانسانية ، كتب منذ مطلع حياته الادبية مقالاً نشر فيما بعد في كتابه « كان ما كان » تحت عنوان « جمعية الموتى » قدم له الناشر بما يشير الى ان الكاتب تخلى حالياً عن الآراء السياسية الواردة فيه . واننا نقتطف من المقال المقاطع الآتية :

صفحة ٨٨ —

عزرائيل يتكلم مقاطعاً : هذا خارج عن الموضوع كذلك اذ لا لبناني ولا سوري ولا فلسطيني في هذه الهيئة بل الكل سوريون . فهل من خدمة اديتها نحو سوريا والسوريين تؤهلك الانضمام الى هذه الجمعية الموقرة ؟

وفي الصفحة ٩٠ يتكلم صحافي :

الصحافي : — (وقد احتدم غيظاً) . هذه كلها اختلاقات محضة اولدها الحسد في قلوب هؤلاء المنافقين . هم يحسدونني على مركزي الصحافي والاجتماعي . هم ينازعونني الزعامة . والشعب

لا يعرف زعيما سواي . سانا قشهم الحساب على صفحات « الحق » **وسافضح هذه المؤامرة ضدي وضد لبنان** وساكشف كذلك سر هذه الجمعية المفسدة فبأي حق تجمعون بين اللبناني والفلسطيني وبين الماروني والارثوذكسي والدرزي واليهودي ؟(الى الجمع) **ايها اللبنانيون** يا ابناء الاشاوسة والمردة، ايها الموارنة - اتبعوني فهؤلاء يرومون هلاككم وسلب حقوقكم . انا زعيمكم .

- عزرائيل (يقاطعه) هل تقبلون هذا الرجل يا احرار القبور ؟

الموتى - (بصوت واحد) ليذهب عنا فهو ليس منا (تسمع اصوات . ليكن ملعوناً) .

ثم في الصفحة ٩٦ نقرأ على لسان احد الهياكل :

..... وشفقة على هؤلاء المخدوعين قد رايت مع بعض الاخوان ان نؤلف لجنة ندعوها لجنة الاموات لتحرير الاحياء . فنحن قد ذقنا طعم الحرية وهم لا يزالون يئنون تحت اثقال اوهام عديدة . **فالواجب يدفعنا كسوريين احرار ان نحرر السوريين العبيد .** (انتهى كلام الاستاذ نعيمه)

ان هذه المقاطع تدل بصراحة وتحت الثوب التهكمي اللاذع الذي يلبسه نعيمه لعباراته وافكاره على انه كان على الاقل في عهد كتابته « جمعية الموتى » مؤمنا بسوريا الطبيعية ، بما فيها لبنان ، حيث يقول : ليس بيننا سوري ولا فلسطيني ولا لبناني **نحن كلنا سوريون .**

ولا يضير هذا البحث شيء ، لو ذكرنا بيتين من الزجل

القومي ارسلها ابراهيم الحوراني الى داود قربان وفيها يسمي المتن اللبناني الجميل متن سوريا : واليك البيتين :

يا كوكب الافلاك مين النزلك

بمتن سوريا وعني حولك

قالت انا ارض الشوير القاهرة

كل عمري بهز عامود الفلك

ولو انتقلنا لمحة خاطفة الى الادب المعاصر في مصر واستمعنا الى احد الذين كونوا مدرسة لفظية جميلة كالاستاذ المنفلوطي ، لرأينا انه دون ان يكون صادراً عن اية فكرة سياسية يسمي اللبنانيين الذين بنوا النهضة الثقافية والاقتصادية في مصر سوريين في مقال منشور في مؤلف الاستاذ رئيف خوري الفكر العربي الحديث صفحة ٢٦٠ — ٢٦١ ، كتبه المنفلوطي بمناسبة اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ جاء فيه :

« فارق مصر على اثر اعلان الدستور العثماني **كثير من فضلاء السوريين** بعدما عمروا هذه البلاد بفضائلهم ومآثرهم وصيروها جنة ، زاهرة بالعلوم والآداب ولقنوا المصريين تلك الدروس العالية في الصحافة والتأليف والترجمة وبعدما كانوا فينا سفراء خير بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية يأخذون من كمال الاولى ليتمموا ما نقص الاخرى . **وبعدما علموا المصري كيف ينشط** للعمل وكيف يجد ويجتهد في سبيل العيش وكيف يثبت ويتجلد في معركة الحياة » . (انتهى)

ان شهادة المنفلوطي في موضوع بحثنا ، تحمل طابعين : الطابع

السياسي الذي جعل المنفلوطي يعبر تعبيرا علمياً عن اللبنانيين بتسميتهم سوريين ، والطابع الخلقي الذي حمله على انصاف السوريين ونفسيتهم الجميلة ، وشخصيتهم الخلاقة وعبقريتهم التي حملت الى مصر مشعل النهضة في ميادين الفكر والعمران والصراع من اجل الحياة الفضلى .

وقد عثرنا مؤخراً على رسالة كتبها السياسي اللبناني والمحامي الكبير **الاستاذ حبيب ابو شهلا** الى الاديبة المبدعة المرحومة سلمى صائغ من باريس وقد جاء فيها :

قرأت رسالتك يا سيدتي فتحولت افكاري المجردة الى حقائق وذابت عواطفي على الوريقة التي سطرتها انامك وتحجرت في طبيعتها لانها شعرت بمثال المرأة **السورية الناهضة** .

(تاريخ ٢٥ ايلول ١٩٢١)

وكتبت الاديبة سلمى صائغ في كتابها النسمات ، قطعة تحت عنوان اغاني الجنود تؤيد قولنا :

« كبيراً كنت او صغيراً فانت انت يا لبنان ولئن فصلتك جراحك الدامية عن سورية فانت انت عين سورية وقلب سورية . وبنوك يا لبنان سيحملون في الغد فكرة الاتحاد المجيد . من على روابيك ستبعث الحياة الجديدة الى الشرق الجديد وفي وديانك ستنشأ فكرة اندغام عناصر سورية ولبنان اندغاماً لا يحله الجهل ولا تفرقه الاديان »

الا ترى ايها القاريء ان السيدة سلمى صائغ تنبأت بالحركة السورية القومية الاجتماعية ؟!.

اننا نكتفي بهذا القدر من اقوال ادباء وعلماء لبنان ، في نظرتهم الى لبنان كجزء من الامة السورية ، هذه النظرة المتوافقة كل التوافق مع النظرة السورية القومية الاجتماعية من حيث الاساس ، والتي تفترق عنها في اسباب عديدة منها ان السوريين القوميين ، لا يطالبون كما يفعل هؤلاء العلماء والادباء بالغاء الكيان اللبناني ، بل يحافظون عليه لضمان انتصار الفكر الصحيح ، وحصول اليقين العلمي — الوجداني ، عند المواطنين في لبنان بصحة النظرة السورية القومية الاجتماعية .

وكان بالامكان ان نذكر مقاطع من قصائد سليمان البستاني والياس فرحات وايليا ابو ماضي وامين تقي الدين وسواهم ونتفاً من مؤلفات خيرالله خيرالله عن سوريا . وخيرالله خيرالله كان محرراً في جريدة « الوقت » الفرنسية وشخصية راقية ، عالية الثقافة ، وهو من قضاء البترون ، ومن غلاة اللبنانيين .

كما نذكر كتاباً للدكتور جورج سمنه ، قدم له الاديب الكبير شكري غانم ، وكلا الكاتبين الكبيرين ، مع المرحوم خيرالله خيرالله **يعتبر ان لبنان جزء من الوطن السوري .**

كما نذكر كتابا **للدكتور ادمون رباط** ، المحامي بالاستئناف في بيروت ، والذي كان الى حين رئيسا لحزب النداء القومي ، اسمه الولايات المتحدة السورية كتبه وهو في مطلع حياته الفكرية الا انه يعترف فيه بالامة السورية ومن ضمنها لبنان .

كما نذكر الاستاذ ميشال شبلي في مؤلفه الجديد الامير فخر الدين ، في الجزء الاول ، حيث يذكر ان « لبنان جبل من سوريا » على لسان احد المؤرخين الفرنسيين .

كما نذكر العديد من المؤلفين العالميين في التاريخ والجغرافيا والادب ، الذين يتكلمون عن لبنان كقطعة من الارض السورية والذين نستطيع ان نجمل ما كتبوا في هذه العبارة الواردة في **لاروس** ، في طبعاته القديمة حتى سنة ١٩٤٧ ، حيث جاء :

لبنان : جبل من جبال سوريا

ولكننا نكتفي بهذا المقدار ليتضح للبناني الواعي ، محب الحقيقة والعلم ، اننا ساعة نقول بالقومية السورية في لبنان نقولها لا كرها بلبنان ولا تهديماً لكيانه ولا خيانة لمصالحه ، بل احتراماً للبنان الذي ما نشأ الا على اساس ان يكون موطن النور والحرية والسماح .

ان قول الحقيقة متى اصبح يعتبر خيانة في لبنان ، زال لبنان من العالم كمركز نور وفكر وعلم ، وكدولة تبحث عن الحقيقة وتحارب في سبيلها . ولكن طالما نحن هنا ، فلبنان الحقيقة موجود ايضاً ولا يستطيع احد ان ينال منه .

استقلال سوريا بأوسع حدودها
الطبيعية والتاريخية بلا قيد ولا
شرط ولا تجزئة.

الحزب الوطني السوري – البرازيل
١٩٢١

الفصل الثالث

نظرة بعض الاحزاب اللبنانية في الوطن والمهجر الى لبنان

أولا : في الوطن

ان المرجع الذي اعود اليه في هذا الفصل هو اطروحة قدمها رفيقنا الدكتور جورج عطيه (جامعة شيكاغو) نال على اساسها رتبة استاذ علوم في التاريخ العربي من الجامعة الاميركية في بيروت .

في هذه الاطروحة يدرس الرفيق عطيه تاريخ نشوء فكرة سوريا الكبرى وتطورها ، مع العلم ان كلمة سوريا الكبرى اسم لمشروع سياسي لا نحن منه ولا هو منا .

وهو يذكر الاحزاب والجمعيات التي تألفت في سوريا وعبرَ الحدود والتي استهدفت استقلال سوريا بحدودها الجغرافية ، دون ان تكون تبلورت لديها فكرة القومية السورية ومعنى الامة وتحديدها ومظهرها السياسي — الحقوقي .

واول جمعية تألفت على اساس المطالبة باستقلال سوريا بحدودها الطبيعية هي « **الجمعية السرية** » . تألفت هذه الجمعية سنة ١٨٧٥ اي قبل تولي عبد الحميد العرش بسنة ، من خمسة شبان من طلاب

الكلية الانجيلية السورية وبلغ عدد اعضائها اثنين وعشرين عضواً واسست فروعاً في دمشق وطرابلس وصيدا وقد كان مركزها بيروت . اما الاعضاء المؤسسون فهم ، كما يذكر الدكتور اسد رستم : سليم عمون ، ابراهيم الحوراني، فانديك ، ابراهيم اليازجي فارس نمر، وقد انضم اليهم حسن بيهم. **وان مؤسس هذه الجمعية هو اسكندر عمون** . وقد كانت هذه الجمعية **ثورية** . وبدأت اول اعمالها الثورية في الصاقها مناشير يوم مقدم مدحت باشا الى سوريا تندد فيها بالحكم التركي وتطالب بالاستقلال وقد كلف عدد من اعضائها بالصاق هذه المناشير ليلاً واخذت عليهم العهود بان يقتلوا انفسهم في حال وقوعهم في شرك السلطة .

وقد كان برنامج هذه الجمعية (ومؤسسوها كلهم لبنانيون) ما يلي :

اولاً : **منح سوريا استقلالها بالاتحاد مع لبنان** .

ثانياً : الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد .

ثالثاً : الغاء المراقبة وغيرها من التضييقات على حرية الفكر والنشر .

رابعاً : عدم السماح باستخدام الوحدات العسكرية المحلية الا ضمن الاراضي المحلية .

والحزب الآخر حزب اللامركزية الذي تأسس في مصر على يد الجالية السورية هنالك سنة ١٩١٢ وكانت غايته توحيد سوريا، وجعلها امارة على ان يختار السوريون بمطلق ارادتهم الامير الذي يريدون ان يولى عليهم .

وقد اسس لهذا الحزب فروع في حمـــاه ، حمص ، بعلبك ، جنين ، نابلس ، البقاع ، يافا ، وادي العجم ، الموصل ، بغـداد والبصرة ، وكان له لجنة عليا مؤلفة من عشرين عضواً مركزها القاهرة .

وبعد الحرب تألف حزب آخر في مصر اسمه حزب الاتحـاد السوري ، اختير لرئاسته الامير ميشال لطف الله وسليم سركيس لامانة سره ، وكانت مطاليبه ما يلي :

اولاً : ان تكون سوريا بجملتها على وحدتها القوميـة من جبال طورس شمالاً والخابور فالفرات شرقاً والصحراء العربية فمداين صالح جنوباً والبحر الاحمر فخط العقبة ورفح فالبحر المتوسط غرباً .

ثانياً : تكون سوريا مستقلة استقلالاً تاماً .

ثالثاً : يكون الحكم فيها على مبدأ الديمقراطية اللامركزية ويكون اساس احكامها وقوانينها مدنياً بحتاً ما عدا احكام الاحوال الشخصية فانها تبقى على حالها .

رابعاً : يكون قانون حكومتها الاساسي ضامنـــاً حقوق الاقليات .

في المهجر :

انتهى الي القـــانون الاساسي للحزب الوطني السوري الذي تأسس في سان باولو البرازيل في ١٠ شباط سنة ١٩٢١ . واني انقل عن قانونه الاساسي الفقرات الآتية :

غاية الحزب : استقلال سوريا بأوسع حدودهـا الطبيعية

والتاريخية استقلالاً تاماً لا حماية ولا وصاية ولا تدخل اجنبي من اي نوع كان بلا قيد ولا شرط ولا تجزئة .

واعداد الرجال ذوي النفوس الكبيرة والاخلاق السامية والمقدرة الكافية لتحقيق هذه الامنية والقيام بتنظيم وادارة شؤون الدولة السورية المستقبلة كما يريدها الاحرار المخلصون . والسعي لاستقلال سوريا استقلالاً تاماً ينطبق على غاية هذا الحزب الاولى ويبنى على احترام حقوق الافراد والبلديات والمقاطعات .

وان يحافظ على استقلال لبنان الاداري وتقاليد وامتيازات اهله دون ان يمس ذلك بوحدة سوريا **واستقلالها لان لبنان جزء من سوريا** لا بل الجزء الراقي الذي لا غنى لسوريا عنه ولا له غنى عنها لارتباطها الطبيعي والادبي الخ .

التواقيع : اسعد بشاره — رئيس
انطون جراب — نائب رئيس
خليل قطيط — كاتب اول
رشيد شتير — كاتب ثان
صبحي الخوري — امين صندوق اول
نمر ابو جمره — امين صندوق ثان
فؤاد نصار
ابراهيم جزيني — لجنة نشر
شكري سعد

واما في بوسطن ماس (الولايات المتحدة) فقد تألفت جمعية اسمها سوريا الحرة عرفت بـ س . ح . كان من **اعضائها حبيب**

كاتبه ، ابراهيم خوري - المحامي ، الدكتور نسيم خوري ، يعقوب النمر ، وسواهم ، وكانت مبـــادئها في معنى مباديء الحزب السوري الوطني وغاياته غاياتها وقد انشأ الدكتور نسيم خوري وشقيقه المحـــامي المرحوم ابراهيم خوري جريدة في بوسطن اسمياها سوريا الجديدة كانت لسان حال هذا الحزب .

وهنالك ايضاً الحزب السوري الديمقراطي الذي اسسه الدكتور خليل سعاده (والد الزعيم سعاده) وغيره من الاحزاب لم نعثر على برامجها وكلها تألفت على اساس المطالبة والعمل لوحدة سوريا الطبيعية.

من هذه الجمعيات والاحزاب يتضح بان فكرة توحيد سوريا على اساس استقلالها التام – بما فيه لبنان – ليست فكرة خيـانة ولا فكرة انتهازيين ولا فكرة خياليين . انها فكرة هتفت بهـا صدور وعقول رجال من صميم الجبل اللبناني، عرفوا انما وحّدته الطبيعة لا يفرقه انسان ولا دولة ولا دول مجتمعـة ، وانها هي الفكرة التي يهضمها العقل ، ضمن الاعتبارات الخاصـة التي يفرضها الوضع الاجتماعي المبلبـل ، هي الاعتبارات التي سندرسها في ما بعد عند تحليلنا المقومات التي نسند عليها نظرتنا في بنـاء الدولة القومية الاجتماعية المثلى في لبنان .

ان الفرق بيننا وبين هذه الاحزاب والجمعيات ، هو انهـــا تألفت في وقت لم يكن لبنان فيه دولة مستقلة كما هي الحال اليوم قائمة على اساس دستور واعتراف دولي وتمثيل خارجي لذلك فهي لم تعترف للبنان بكيان سياسي كما نعترف نحن وكما نعمـل نحن ، دون ان نطالب بما يسمونه الوحدة السورية الاعتباطية .

« ...فنحن اعضاء هذا المؤتمر
الممثلين للأمة السورية في جميع
انحاء القطر السوري تمثيـــلاً
صحيحاً ، أعلنـا باجماع الرأي
استقلال بلادنا السورية بحدودها
الطبيعية .»

المؤتمر السوري
٧ اذار ١٩٢٠

الفصل الرابع

المؤتمرات ولبنان

بعد ان ذكرنا مقاطع من اقوال علماء التاريخ والجغرافيا ، والادباء والمفكرين ، ومررنا سريعاً بالجمعيات والاحزاب التي تألفت وهدفها « الوحدة السورية » ، نعود في هذا الفصل الى تسجيل وثيقتين هامتين ، تؤيدان وجهة نظرنا كل التأييد . ان البارز في هاتين الوثيقتين ، انهما تحتويان على اسماء الكثيرين من القادة السياسيين الذين تسلموا زمام الحكم في لبنان وخارج لبنان وبعضهم من لا يزال في دست الاحكام حتى اليوم . ويؤسفنا اننا لم نعثر على وثيقة ثالثة هامة مدونة في المحررات السياسية للاخوين فيليب وفريد الخازن — الجزء الاول عن مؤتمر دير القمر الذي يتكلم عن سوريا والذي ذكره حضرة رئيس الجمهورية الحالي الاستاذ كميل شمعون في خطابه في مؤتمر دير القمر قبيل الانقلاب الذي اطاح بالطاغية بشاره الخوري .

ففي مؤتمر سنة ١٩٢٥ وفي مؤتمر سنة ١٩٢٨ نجد المؤتمرين وبينهم **رياض الصلح وعبد الحميد كرامي وعبدالله اليافي وعلي ناصرالدين وسواهم يوقعون على بيان المؤتمر ومطالبه منادين بالامة السورية** ، حتى اذا جاء سعاده يركز معنى الامة على

قواعده العلمية يهبّون في وجهه، منادين بالويل والثبور وعظائم الامور ، والخيانة العظمى للعرب ولبنان ، كأن الامة السورية التي قالوا بها ، تحت تواقيعهم وفي مؤتمرات تاريخية ، امة غريبة عن الامة السورية التي علّم بها سعاده ولا تزال بها تعلم ولها تعمل الحركة القومية الاجتماعية ، بالطرق التي لا تفتح الثغرات الطائفية، ولا تزعزع ثقة المواطنين ببعضهم .

ففي الوثيقة الاولى ينتهي المؤتمرون في ٧ آذار ١٩٢٠ الى اقرار بعض الحقائق التي تقوم عليها الحركة السورية القومية الاجتماعية اذ يقولون ان سوريا الطبيعية والقطر العراقي تربطهما صلات وروابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وجنسية ، تجعل احدهما لا يستغني عن الآخر ويطلبون الى جانب تحرير الشام والاردن ولبنان واستقلالها ، انشاء ملكية دستورية نيابية منها جميعها والمناداة بفيصل ملكاً عليها ، على **ان يصار الى اتحاد سياسي بين سوريا والعراق فيما بعد، دون ذكر لمصر والجزيرة واليمن وافريقيا الغربية التي ادخلوها في ما بعد في اطار القومية العربية والامة العربية .**

ان المؤتمر وقد شدد كثيراً على الامة السورية العربية لم يسعه تجاهل الواقع الطبيعي ، فاذا به يشمل في مطالبه قيام وحدة سياسية بين العراق من جهة وسوريا اي الشام ولبنان وفلسطين من جهة ثانية ، مع العلم انه لم يشر لا من بعيد ولا من قريب باية وحدة حتى سياسية بين مراكش ومصر والجزيرة واليمن وبين سوريا ... !!

ان الحركة القومية الاجتماعية ، وضعت حداً لفوضى الالفاظ والمفاهيم ، وركزت القضية القومية الاجتماعية على الحقائق الاخيرة لعلم الاجتماع ونشوء الامم .

فلم يعد العراق ولا لبنان ولا الشام ولا الاردن اقطاراً شقيقة ، بل قطراً واحداً هو الوطن السوري . واننا سنعود الى بحث علاقتنا بالعروبة — بعد ان بحثها الامين عصام محايري في محاضرته عن عروبة القوميين الاجتماعيين في كتاب آخر — ونثبت ان عروبتنا هي العروبة الواقعية ، وهي وحدها العروبة التي ستنتصر وتتحقق لانها تقوم على اساس العلم والعقل لا على اساس شعري من الخيال والعاطفية .

اما مؤتمر سنة ١٩٢٨ فقد كان اقل شمولاً واقل نضوجاً في الفكر السياسي . انه كان مؤتمراً سياسياً فحسب . وبينما كان الحس السوري القومي اكثر بروزاً في المؤتمر الاول سنة ١٩٢٠ كان المؤتمر الثاني سنة ١٩٢٨ مؤتمراً للوحدة السورية الجزئية .

ان ما يهمنا في موضوع هذا الكتاب هو ان الذين كانوا كوكب المؤتمرين ، هم انفسهم الذين كانوا يعملون للوحدة السورية بما فيها لبنان ، وعلى الاقل يعملون لوحدة سورية لا تعترف بلبنان بحدوده الحاضرة .

والذين عملوا من اللبنانيين في السياسة العربية لرفع نير الاستعمار التركي . او في السياسة السورية الصرف للوحدة السورية ، كانوا هم ايضاً سوريين تماماً كجبران والريحاني وصروف وعمون وسواهم.

وفيما يلي الوثيقتان :

الوثيقة الاولى

قرار المؤتمر السوري باعلان الاستقلال يوم الاثنين في ٧ آذار سنة ١٩٢٠

ان المؤتمر السوري العام الذي يمثل **الامة السورية العربية** في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية (فلسطين) تمثيلاً تاماً يضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الاحد الموافق لتاريخ ١٦ جمادي الثانية سنة ١٣٣٨ وليلة الاثنين التالي له الموافق لتاريخ آذار سنة ١٩٢٠ القرار الآتي :

ان الامة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها واحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ، ولم ترق دم شهدائها الاحرار وتثر على حكومة الاتراك الا طلباً للاستقلال التام والحياة الحرة فبصفتها امة ذات وجود مستقل وقومية خاصة لها الحق في ان تحكم نفسها بنفسها اسوة بالشعوب الاخرى التي لا تزيد عنها مدنية ورقياً .

وقد اشتركت في الحرب العامة مع الحلفاء استناداً على ما جهروا به من الوعود الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية وعلى لسان ساستهم ورؤساء حكوماتهم ، وما قطعوه خاصة من العهود مع جلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية ، وما جهر به الرئيس (ولسن) من المباديء السامية القائلة بحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها من مبدأ المساواة في الحقوق وانهاء سياسة الفتح والاستعمار ، والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوق الامم واعطاء الشعوب المحررة حق تعيين مصيرها مما وافق عليه الحلفاء رسمياً كما جاء في تصريحات مسيو (بريان) رئيس وزراء

فرنسا بتاريخ ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ امام مجلس النواب ، واللورد (غراي) وزير خارجية بريطانيا العظمى في ٢٣ تشرين ثاني سنة ١٩١٦ امام لجنة الشؤون الخارجية وتصريح الحلفاء في جوابهم على مذكرة الدول الوسطى التي رفعها المسيو (بريان) بواسطة السفير الاميركي في باريس ، وجواب الحلفاء على مذكرة الرئيس ولسن بتاريخ ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٧ وبيان مجلس النواب الافرنسي في ٥ حزيران سنة ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه ايضاً ، وما جاء في الخطاب الذي القاه المستر (لويد جورج) في غلاسكو بتاريخ ٢٩ منه سنة ١٩١٧ .

وقد كان ما قام به جلالة الملك حسين المعظم من الاعمال العظيمة في جانب الحلفاء هو الباعث الاكبر لتحرير الامة العربية وانقاذها من ربقة الحكم التركي فخلد لجلالته في التاريخ العربي اجمل الآثار وافضلها .

وقد ابلى انجاله الكرام مع الامة العربية في جانب الحلفاء البلاء الحسن مدة ثلاث سنوات حاربوا خلالها الحرب النظامية التي شهد لهم بها اقطاب السياسة وقواد الجند من الحلفاء انفسهم وسائر العالم المدني ، وضحى العدد الكبير من ابناء الامة الذين التحقوا بالحركة العربية من انحاء سوريا والحجاز والعراق ، فضلاً عما قام به **السوريون** خاصة في **بلادهم** من الاعمال التي سهلت انتصار الحلفاء والعرب مع ما اصابهم من الاضطهاد والتعذيب ، والقتل والتخريب ، تلك الاعمال التي كان لها الاثر الاكبر في انكسار الترك وجلائهم عن سورية وانتصار قضية الحلفاء انتصاراً باهراً

حقق آمال العرب بوجه عام، والسوريين منهم بوجه خاص، فرفعوا الاعلام العربية واسسوا الحكومات الوطنية في انحاء البلاد قبل ان يدخل الحلفاء هذه الديار .

ولما قضت التدابير العسكرية بجعل البلاد السورية ثلاث مناطق اعلن الحلفاء رسمياً ان لا مطمع لهم في البلاد السورية وانهم لم يقصدوا من مواصلتهم تلك الحروب في الشرق سوى تحرير الشعوب من سلطة الترك تحريراً نهائياً واكدوا ان تقسيم المناطق لم يكن الا تدبيراً عسكرياً مؤقتاً لا تأثير له في مصير البلاد واستقلالها ووحدتها ، ثم انهم قرروا ذلك رسمياً في الفقرة الاولى من المادة الثانية والعشرين من معاهدة الصلح مع المانيا ، فاعترفوا فيها باستقلالنا تأييداً لما وعدوا به من اعطاء الشعوب حق تقرير المصير ثم ارسلوا اللجنة الاميركية للوقوف على رغبات الشعب فتجلت لها هذه الرغائب في طلب الاستقلال التام **والوحدة السورية التامة** .

وقد مضى نحو عام ونصف ، والبلاد لا تزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم العسكري الذي الحق اضراراً عظيمة ، واوقف سير اعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية ، واوقع الريبة في نفوس ابنائها من امر مصيرها ، فاندفع الشعب في كثير من البلاد وقام بثورات اهلية منقضاً على الحكم العسكري الغريب ، ومطالباً **باستقلال بلاده ووحدتها** .

فنحن اعضاء هذا المؤتمر **رأينا، بصفتنا الممثلين للامة السورية في جميع انحاء القطر السوري** تمثيلاً صحيحاً ، نتكلم بلسانها ،

ونجهر بارادتها ، وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استناداً على حقنا الطبيعي والشرعي في الحياة الحرة ، وعلى دماء شهدائنا المراقة وجهادنا المديد في هذا السبيل المقـــدس ، وعلى الوعود والعهود والمباديء السامية السالفـــة الذكر ، وعلى ما شاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم الامة الثابت على المطالبة بحقها ووحدتها والوصول الى ذلك بكل الوسائل ، **فاعلنـا باجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية** ، ومنها فلسطين ، استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الاساس المدني النيابي ، وحفظ حقوق الاقلية ، ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود او محل هجرة لهم .

وقد اخترنا سمو الامير فيصل بن جـــلالة الملك حسين الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد ، وجعل الامة ترى فيه رجلها العظيم ملكاً دستورياً على سورية ، بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ، واعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث على ان تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس في كل ما يتعلق باساس استقـلال البلاد التام الى ان تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيـابي على ان تدار مقاطعات هذه البلاد على طريقـــة اللامركزية الادارية وعلى ان نراعي اماني اللبنانيين الوطنيين في كيفية ادارة مقاطعاتهم (لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة ، بشرط ان يكون بمعزل عن كل تأثير اجنبي) .

ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من

حكم الترك وكانت الاسباب التي يستند اليها في استقلال القطر العراقي ، وبما ان بين القطرين صلات وروابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وجنسية ، تجعل احد القطرين لا يستغني عن الآخر ، فنحن نطلب استقلال القطر العراقي استقلالاً تاماً على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي .

هذا واننا باسم الامة السورية العربية التي انابتنا عنها نحتفظ بصداقة الحلفاء محترمين مصالحهم ومصالح جميع الدول كل الاحترام ، وان لنا الثقة التامة بان يتلقى الحلفاء وسائر الدول المدنية علمنا هذا المستند الى الحق الشرعي والطبيعي في الحياة فيما تحققه فيهم من نبالة القصد وشرف الغاية فيعترفوا بهذا الاستقلال ويجلي الحلفاء جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية فيقوم الجند الوطني والادارة الوطنية بحفظ النظام والادارة فيها ، مع المحافظة على الصداقة المتبادلة ، حتى تتمكن الامة السورية العربية من الوصول الى غاية الرقي ، وتكون عضواً عاملاً في العالم المدني .

وعلى الحكومة السورية التي تتألف استناداً على هذا الاساس تنفيذ هذا القرار .

اننا لا نعلق على هذه الوثيقة ، باكثر مما جاء في مقال نشرته مجلة السمير النيويوركية في العدد ٢٤٤ — ٢٤٥ سنة ١٩٤٩ بقلم الاديب الكبير والسياسي المعروف الاستاذ **داود مجاعص** نزيل المكسيك حالياً ، ومن القائلين بالعروبة ايضاً ، فقد كتب الاستاذ مجاعص ، تحت عنوان استفتاء سنة ١٩٤٩ ما يلي :

... يطول بنا المقام جداً اذا فسحنا المجال لاراء اهل سورية

الحالية ولا كثرية اهل لبنان الكبير فنقتصر على آراء لواء صيدا وحده وطن رئيس الحكومة اللبنانية القابض بكفه المتينة الثقيلة على ارسانها واعنتها . بل نقتصر على بلده وحدها وعلى رأي ابيه رضا بك الصلح . فننقل عن جريدة «الحقيقة» البيروتية ما لا قبل للسيد رياض الصلح بانكاره ولا رده وهو هذا :

« في صيدا تقدم القاضيان منير عسيران وارشد وهبه ومفتي البلد كمال الدين المغربي ونقيب الاشراف احمد جلال الدين ... **فطلبوا مطالب المؤتمر السوري ورفضوا فكرة « لبنان الكبير.** » ثم استقبلت اللجنة وفد جمعيتي « المقاصد الخيرية ونسر العلوم » فايدا المؤتمر السوري واحتجا على فكرة لبنان الكبير ثم ... ثم ... تقدم اعيان المسلمين وبينهم **رضا بك الصلح** (ابو رياض) ويوسف بك ابو ظهر والدكتور شريف عسيران وغيرهم ووافقوا على قرارات المؤتمر السوري ورفضوا « فكرة لبنان الكبير » .

« وقال رياض بك الصلح الذي يقتل اليوم الناس « من اجل لبنان الكبير ومن اجل استقلاله منفصلاً عن سورية » ان مجموع سكان قضاء صيدا ٥٥ الف نفس منهم ١٥ الف من السنة و ٣٢ الفاً من الشيعة تمثلهم الوفود التي رأيتم ، ولا عبرة في تعداد بقية اشخاص الوفود فهي لا تمثل الا بقية هذا العدد .

اي ان الذين طلبوا لبنان الكبير والانفصال عن سورية ليسوا غير ثمانية آلاف من اصل ٥٥ الف ... »

هذا ما كان رأي ومذهب قوم رياض ومبدأ رياض وابي

رياض في سياسة لبنان منذ ثلاثين سنة .

اما ما كان مذهب انطون وابي انطون نقـــلاً عن « المجلة » تاريخ ١٥ آذار ١٩١٩ فهو ما يلي :

« تألف في الارجنتين الحزب الديمقراطي الوطني برئاســة الدكتور خليل سعاده و ... هذا دستوره :

١ ــ يجب ان تكون سوريا ولبنان وفلسطين مستقلة استقلالاً تاماً مطلقاً .

ــ تعاد الى لبنان حدوده الجغرافية الطبيعية ويكون متحداً مع سورية وفلسطين اتحاداً سياسياً تكون معه كل هذه البلدان مستقلة استقلالاً تاماً وتؤلف جميعها جمعية ديموقراطية لها حكومة عامة على غرار الولايات المتحدة وتسمى هذه البلدان « الولايات السورية المتحدة » .

ــ فصل الدين عن السياسة .

وهذا ما كان منذ ثلاثين سنة . فماذا كان منذ ثلاثين سنة ؟ كان ان **رياض بك الصلح الذي انكر هو وابوه وقومه لبنان الكبير وانفصاله عن سورية قتل انطون سعاده لثباته على عقيدته وعقيدة ابيه وعلى عقيدة كانت عقيـــدة رياض وابي رياض وقوم رياض ...** » (انتهى مقال الاستاذ داود مجاعص)

الوثيقة الثانية : مؤتمر الوحدة السورية

يوم كانوا يطالبون بالوحـــدة السورية ويقولون ان السوريين امة واحدة

في ٥ محرم سنة ١٣٤٧ الموافق في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٨

عقدت جلسة عامة في دمشق في منزل ياسين بك الجابي مؤلفة من وفود بلاد العلويين والبلاد التي ضمت الى لبنان القديم وهذه اسماؤهم مع حفظ الالقاب :

وفد بيروت

عمر بيهم ، عبد الرحمن بيهم ، احمد الداعوق ، انيس نجار ، بشير جبر ، عزت قريطم ، محمد خرما ، **عبدالله اليافي** ، علي ناصر الدين ، صلاح عثمان بيهم ، محمد الباقر ، عوني الكعكي .

وفد طرابلس

عبد الحميد كرامي ، الدكتور عبد اللطيف اليسار ، **سعدي المنلا** ، الدكتور حسن رعد ، عارف الحسن الرفاعي ، مصطفى عادل الهندي ، تيودور حكيم ، صبحي الملك .

وفد صيدا صور مرجعيون وجبل عامل

رياض الصلح ، الشيخ احمد عارف الزين ، محمود زنتوت ، الحاج اسماعيل خليل ، يوسف ابو ظهر ، توفيق الجوهري ، سامي زنتوت ، بديع الزين ، سعيد نجيب عسيران ، مراد غلميه ، فؤاد الميداني ، محمد الحوماني .

وفد اللاذقية وطرطوس وبانياس

عبد الواحد هارون ، عبد القادر شريتح ، مجد الدين الازهري الدكتور ضيا حامش ، المحامي صبحي الطويل ، محمود عبدالرزاق محمود الاحمد ، علي المحمود ، محمد نور الدين .

وفد وادي التيم

الامير فؤاد شهاب .

وفد عكار

عثمان المحمد ، عبد الفتاح الشريف ، حسني عطيه .

وفد تلكلخ

عبدالله الكنج ، عبد اللطيف الكنج ، عبد الحميد الحاكم ، عبد الرزاق الرشم ، عبد القادر الاحمد .

وفد البقاع

الدكتور ملحم الفرزلي ، مخايل فلفله ، خليل صلوخ ، سمعان خزعل ، ابراهيم القيم ، قاسم العيماتي ، الدكتور امين قزعون .

وفد بعلبك

عباس حسيب ياغي ، اديب الرفاعيّ ، نجيب حيدر ، لطفي حيدر ، محمد حسن شومان ، اديب قانصوه .

وقد انتخب رئيساً لهذا المؤتمر باجماع الآراء السيد **عبد الحميد كرامه** ، والسيد عارف الزين ، والدكتور ملحم الفرزلي سكرتارين (ناموسين) وافتتح الجلسة حضرة الرئيس بكلمة شكر لناخبيه وايضاح الغاية التي من اجلها عقد هذا المؤتمر وبعد المداولة وضع البيان ووقع من الجميع وهذه صورة البيان :

لما كانت القضية السورية قضية واحدة لا تقبل التجزئة والانقسام وان السوريين امة واحدة تربطهم جامعة القومية ولا تفرق بينهم الاديان والمذاهب . ولما كانت بعض الظروف القاسية حالت دون اشتراك بعض ابناء البلاد في الجمعية التأسيسية السورية التي تضع دستور هذا الوطن وتقرر مصيره النهائي ...

لذلك

اتينا نحن ابناء البلاد المحرومة من هذا الحق الى دمشق عاصمة سورية ومصدر الوطنية الحقة والمبادىء الصحيحة وعقدنا مؤتمراً في يوم السبت الواقع في ٥ محرم ١٣٤٧ الموافق ٢٣ حزيران ١٩٢٨ خلال انعقاد الجمعية التأسيسية السورية وفي الوقت الذي يظهر فيه الشعب الافرنسي النبيل استعداده لايجاد صداقة دائمة مع بلادنا تقوم على اساس الاعتراف بحقنا الشرعي وبعد درس القضية من جميع وجوهها وانعام النظر في الادوار التي مرت بها من ثماني سنين قررنا ما يلي :

اولاً — يؤيد المؤتمر ميثاق البلاد القومي **ويطلب الى الجمعية التأسيسية وحدة هذه البلاد السورية العامة** بضم جبل الدروز والبلاد المسماة ببلاد العلويين والبلاد التي ضمت الى لبنان القديم الى سوريا وذلك بوضع مادة خاصة في صلب الدستور تنص على ان سوريا المؤلفة من البلاد المذكورة هي دولة واحدة مستقلة ذات سيادة وذات وحدة سياسية لا تتجزأ .

ثانياً — ارسال تحية خالصة الى الجمعية التأسيسية السورية وتأييد الكتلة الوطنية العاملة على تحقيق الميثاق القومي في داخل البلاد وخارجها والى كل عامل مخلص لتحقيق هذا الميثاق .

وشكر الوفد السوري في اوروبا على ما يبذله من جهود في هذا السبيل .

ثالثاً — يبلغ هذا القرار الى رئيس الجمعية التأسيسية وبواسطته الى فخامة المفوض السامي والى وزارة خارجية فرنسا والى

جمعية الامم .

وبعد ذلك انتخب وفد مؤلف من السادة : عبد الحميد كرامه عمر بيهم ، عفيف الصلح ، عبدالله الكنج ، الامير فؤاد شهاب ، الدكتور ملحم الفرزلي ، نجيب حيدر ، عبد الواحد هارون ، وعبد الفتاح الشريف ، حسن الشحون ، ومحمود بك عبدالرزاق. لرفع هذا البيان الى مراجعه . وختمت الجلسة الساعة الثانية عشرة من يوم السبت الواقع في ٥ محرم سنة ١٣٤٧ الموافق ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٨ .

التواقيع : الدكتور ملحم الفرزلي ، احمد عارف الزين ، عبدالحميد كرامي .

اننا لا نعلق على ما جاء في بيان هذا المؤتمر التاريخي باكثر مما جاء في مقدمته بان السوريين امة واحـــدة تربطهم جامعة القومية ولا تفرق بينهم المذاهب والاديان . كما اننا نلفت النظر الى ان الحركة القومية الاجتماعية لم تخطط يوماً من الايام لحملة ضد الكيان اللبناني منذ تاريخ تأسيسها كما انها منذ تاريخ تأسيسها لم تتعاون مع الذين عملوا لالغاء الكيان اللبنـــاني من الذين اصبحوا فيما بعد حكام لبنان !

فما أنا الا لبنـــاني من
صميم لبنان .

سعاده

الفصل الخامس

نظرتنا الى لبنان

قال سعاده في البيان الاقتصادي الذي اعده سنة ١٩٤٧ للحزب القومي الاجتماعي ، ليكون منهاجاً يستفتى على اساسه الناخبون اللبنانيون ، ما يلي :

« يجب معالجة موضوع استقلال لبنان من اساسه . فاذا القينا نظرة على منشأ هذا الاستقلال وجدنا ان الباعث على طلبه هو حصول اقتناع قديم ان لا حل لقضية المسيحيين المقيمين فيه الا بالانفصال عن الاكثرية المحمدية وجعل لبنان دولة مسيحية مستقلة .

« ولما كان تجمع المسيحيين في جبال لبنان عينها وكانت هذه المنطقة لا تكفي لانشاء دولة صغيرة ، ولما كانت ارادة الاحتلال الفرنسي قد اتجهت نحو الاستفادة من الطوائف والحزبيات الدينية في البلاد لتجزئتها ، درست مسألة انشاء دولة لبنانية تستند الى اقتناع المسيحيين ورغبتهم والى ارادة الدولة المحتلة . **فأعلن الجنرال غورو ، قائد الجيش الفرنسي المحتل ، في اول سبتمبر سنة ١٩٢٠ باسم الجمهورية الفرنسية ، دولة لبنان الكبير .** وكان القائد الاجنبي المذكور قد امر قبل ذلك بالقاء القبض على مجلس ادارة

لبنان المنتخب من الشعب اللبناني لان المجلس المذكور كان قد ادرك المصير الاستعماري الذي كانت فرنسا تريدجر لبنان والشام اليه وقرر الاتفاق مع ملك الدولة الشامية فيصل الاول على **وحدة سورية صغرى**. فقبض على اعضاء المجلس واتهمتهم فرنسا « بخيانة لبنان » ونفتهم الى جزيرة كورسيكا ثم نقلوا الى فرنسة حيث تمكن السيد سليمان كنعان من خدع الشرطة الفرنسية واجتياز الحدود الى سويسرا.

« بقيت الدولة اللبنانية قائمة منذ نشأتها على الحراب الفرنسية ورغبة قسم كبير من المسيحيين **فلم تستند الى ارادة شعبية عامة.**

« ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وما تلاها من حوادث سياسية وسنحت الفرصة للتحرر من السيادة الفرنسية بتأييد الدولة البريطانية فاعلن الاستقلال على الاوضاع التي كان قد اقرها الاحتلال الفرنسي بدون تغيير او تعديل.

« يتضح مما تقدم ان الكيان اللبناني يفتقر الى ارادة قومية عامة تعطيه الاساس الذاتي. والى ايجاد هذا الاساس اتجهت النهضة السورية القومية الاجتماعية وبالتالي الحزب القومي، فكان تصريح الزعيم سنة ١٩٣٧ (منشور في آخر هذا الفصل) الذي اتخذته الحركة السورية القومية الاجتماعية كلها، في لبنان والشام وفلسطين وشرق الاردن وما بين النهرين، خطة اساسية للعمل. **فاعترفت هذه الحركة العظيمة بالحدود اللبنانية تأميناً للاهداف السياسية التي ارادها المسيحيون اللبنانيون ورغبت في طمأنينتهم وقالت بضرورة تأمينهم على وضعية الضمان التي ارادوها وبذلك**

امكن التوفيق الوثيق بين القضية السورية العامة والقضية اللبنانية الخاصة ، بين القومية السورية والكيان اللبناني .

ويتضح من النظر الى الوضع والى مجرى الامور ان الكيان اللبناني بطبيعة تركيبه الاجتماعي ينقسم الى قسمين متعادلين تقريباً : قسم المسيحيين وقسم المحمديين وبينهما قسم ثالث صغير وهام جداً هو قسم الدروز . وقد رأينا انه لم يكن هنالك اشتراك شعبي في الاساس بين هذه الاقسام الثلاثة في انشاء الكيان اللبناني . ولذلك نرى انه حتى بعد اعلان استقلال لبنان لا تزال هنالك نزعتان تتنازعان السيادة ومصير لبنان اللاقومي هي النزعة المسيحية اللبنانية الفينيقية والنزعة المحمدية العربية . وفي هذا الانقسام السياسي لا اساس حقيقي للاستقلال اللبناني .

تجاه هذه الحالة لا يوجد سوى حل وحيد للمشكلة هو حل النهضة القومية الاجتماعية التي تريد :

١ - تأمين الكيان اللبناني وتثبيته باعتباره نطاقاً قومياً يضمن القيم السورية الاجتماعية ويضمن عملها واستمرارها .

٢ - توليد ارادة عامة في لبنان وخارجه تجعل للتأمين المتقدم قيمته الفعلية .

٣ - تحقيق الاصلاح السياسي الكبير بفصل الدين عن الدولة .

٤ - ضمان الحريات الاساسية التي توجد الضمان الحقيقي للاستقلال اللبناني .

٥ - ايجاد ترابط قومي سياسي وثيق بين الكيان اللبناني وبقية الكيانات السورية . (انتهى البيان الانتخابي)

وكان الزعيم على اثر القائه خطابه التاريخي في ٢ اذار ١٩٤٧ قد وجه اربعة نداءات الى الشعب اللبناني ، نقتطف منها الفقرات التي تأتلف مع موضوع هذا البحث .

جاء في البيان الاول المؤرخ في ٦ اذار سنة ١٩٤٧ :

يوم وصولي الى بيروت لفظت خطاباً اردت فيه التعبير عن عقليتك النيرة التي يجب في عرفي ان تشع من داخل كيانك الى خارجه كي لا تحاك حولك المؤامرات المظلمة وتداهمك الايام بما لم تعمل على تلافيه وقد قلت ذلك بتعبير واضح بعد ان صرحت ان الملأ يشهد ان جميع الجموع القومية الاجتماعية من لبنان ومن خارجه تعترف بكيانك وتحترمه ولا يعقل **ان اكون انا ابن لبنان خارج هذا الاعتراف .**

فانا لم آت بعد غياب نحو تسع سنوات **لاكون حرباً على هذا الكيان بل لاكون قوة فيه وله .**

فكل فكر ابديته بصدد اتصال هذا الكيان بخارجه هو فكر مبني على الاعتراف بوجود الكيان بحدوده الحاضرة وبالعمل على اساس هذا الكيان .

وقد صرحت في خطابي المذكور اني ارى الاستقلال الذي حازه هذا الكيان خطوة اولى يجب ان تعقبها خطوة هي جعل هذا الكيان قوة فاعلة، لا ضعفاً متقلصاً منزوياً، فاراد المغرضون افهامك اني اقول ان كيانك نفسه هو خطوة اولى والفرق بين ما قلت وما اول المغرضون عظيم جداً .

فما انا الا لبناني من صميمك يريد تحويل كيانك الى معقل

للنبوغ ولتطوير المحيط حولك في اتجاه موافق لتطورك متجانس مع اهدافك . »

– وفي البيان الثاني قال الزعيم :

لا حملة هناك على الكيان اللبناني ولا قول لالغاء هذا الكيان بل هنالك تصريح عميق المعنى اخفاه الضاجون لان كتمان الحق عندهم من الايمان .

ذلك التصريح العميق المعنى الذي يريد الضاجون ان يحجبوه عنك هو قولي في خطابي في الثاني من الشهر الحاضر : « **ان الكيان اللبناني هو وقف على ارادة الشعب اللبناني** »

هو وضع حق تقرير مصيرك في يدك لانك انت وحدك لبنان وانت وحدك الكيان اللبناني ولا يجوز لقوة داخل هذا الكيان او خارجه ان تهدم ارادتك وسيادتك .

فاذا لم تكن انت مرجع الامر الاخير في لبنان ، فاين عزك واين كرامتك واين استقلالك ؟

وما هو الاستقلال الذي نلته اذن ؟ أهو استقلال الثلوج على الكنيسة وصنين وفم الميزاب وحرمون وهذا كان دائماً مستقلاً ، ام هو استقلال الصخور والتراب والنبات وهي ايضاً مستقلة من قبل ، ام هو استقلالك انت ايها الشعب ، لتكون حراً في تقرير مصيرك واختيار اي وضع تريده ؟

اني اقول لك ان استقلالك هو في سيادتك وحريتك ، وان كل شيء في لبنان انما هو لك ، وانت صاحبه وانت صاحب الحق في التصرف به .

وقد كتب الزعيم مقالاً وجد بين اوراقه بعنوان **الموارنة سريان سوريون** لا يزال محفوظاً بخط يده ، جاء فيه :

في اول عهد نغمة استقلال لبنان الذي اعلنه قائد الجيش الفرنسي المحتل لجأ المهتمون بتأمين مصير الجماعة المسيحية في لبنان الى فكرة ايجاد قومية لبنانية خاصة ، بالاستناد الى خرافة الاصل « الفينيقي » للبنانيين متخذين المدن الكنعانية البحرية التي قامت على الساحل امام جبل لبنان كصور وصيداء وجبيل اساساً لهذه الخرافة .

ولو افترضنا غير الواقع وسلمنا بهذا الاصل الفينيقي اي الكنعاني لوجب القول ان الشعب اللبناني مربوط من الوجهة الاتنغرافية بالشعب الفلسطيني اشد الارتباط ، اي انه والشعب الفلسطيني شعب واحد لان اساس الفينيقيين ، هو في فلسطين التي عرفت بارض كنعان والتي هي مقر جسم الكنعانيين وحافظة بقيتهم .

ولكن التحقيقات العلمية اثبتت بما لا يقبل الجدل اختلاط الاقوام الرئيسية التي انتشرت في سوريا الطبيعية كلها اي الكنعانية — الفينيقية ، والآرامية — الكلدانية ، والحثيين ، وامتزاجها واندماجها بعضها ببعض حتى نشأت منها شخصية واحدة جديدة واضحة هي **الشخصية السورية** . .

والموارنة خاصة الذين فيهم كثير من الشكل الحثي هم آراميون اصلاً ولغة اي سريان (سوريون) ومجيئهم كان من الداخلية وقصة دير رهبان مار مارون قرب حمص وهرب الموارنة من ذلك المكان الى لبنان حقيقة ثابتة حتى ان **المطران مبارك**

ابى الا ان يذكرها من ايام معدودة في خطبة له (بمناسبة عيد مار مارون) .

فالموارنة الذين هم من الشعب السوري هم سريانو اللسان لا فينيقيوه وهم ثقافة ودماً سوريون كغيرهم وادبهم الديني والاجتماعي هو بعض الادب السوري السرياني .

واذا عدنا الى الاساس الفينيقي وجدنا ان الفينيقيين امتدوا من فلسطين على طول الساحل السوري . واعظم الآثار التي اكتشفت مؤخراً بين سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٢ كان في **رأس شمرا** قرب اللاذقية وليس على الساحل امام فم الميزاب او صنين او الكنيسة .

ان الاقوام السورية الرئيسية قد امتزجت ببعضها مع مرور الزمن ، ومكان شعورها بوحدة مصيرها قبل امتزاجها يدفعها الى التحالف الجزئي او الكلي فيما بينها والتاريخ يروي لنا عدة محالفات من هذا النوع خصوصاً ما نشأ بينها ضد الغزوات المصرية التي تلت الفتح السوري لمصر وسيادة السوريين على مصر مدة غير يسيرة من الزمن .

ونشأ من الامتزاج المذكور الشكل السوري الخاص الذي يختلف لوناً عن الشكل المصري الذي هو نتيجة مزيج اقوام مختلفة . وهو شكل واضح يجمعهم كلهم تجاه الاقوام الاخرى . فالجنس الاجتماعي السوري يجمع اللبنانيين والساحليين والشاميين والفلسطينيين وجميع ابناء المناطق السورية في شكل واحد .

واذا عدنا الى الموارنة خاصة وجدنا انهم هم الذين يحفظون بقية

التقاليد السورية القومية ويشترك معهم فيها بعض جماعات الداخلية وما بين النهرين . فلغتهم الكنائسية هي السريانية اي السورية عامة التي عمت سوريا كلها وكانت مدة من الزمن اللغة الرسمية في المعاملات الانترنسيونية حتى ان معاهدات بين مصر والفرس عقدت باللغة الآرامية السريانية .

والبطريرك الماروني (وكذلك الارثوذكسي) ليس بطريركا لكرسي لبنان بل لكرسي سوري عام، فهو بطريرك انطاكيه وسائر المشرق . وانطاكية في شمال سوريا وكانت عاصمة الامبراطورية السورية في العهد السلوقي الذي كانت العائلة المالكة فيه من اليونان ولكن الدولة كانت سورية .

وفينيقية نفسها كانت تعرف بانها سورية وليس لبنانية وقد خصها بالسورية الانجيل المقدس .

وانّ للموارنة خاصة تراثاً سورياً وتاريخ طائفتهم مندمج في **تاريخ سوريا كلها ومنهم تنتظر المساهمة في حفظ هذا التراث وكل فكرة تقصد عزلهم عن مجرى هذا التاريخ هي فكرة مقوضة لاساسهم ومعطلة لمستقبلهم .**

المسألة اللبنانية لم تكن قط مسألة امة خاصة او جنس خاص او بلاد خاصة بل مسألة جماعة دينية دفعتها الحروب الدينية الماضية وفقد الحقوق المدنية والسياسية العامة الى طلب وضع تؤمن فيه على معتقداتها الروحية وتقاليدها حفظاً للتراث القديم لا تهديماً له . حقيقة هذه المسألة معروفة عند المسيحيين والمحمديين على السواء . والكتائب اللبنانية نفسها كانت تعترف بعدم وجود امة لبنانية

اذ هي تقول في المادة الاولى من دستورها التأسيسي ان غايتها **السعي المتواصل لانشاء امة لبنانيه** . اي ان هذه الامة غير موجودة والفلانج تريد ايجادها . وحتى الآن لم تصدر بلاغاً بانتهائها من صنع الامة اللبنانية .

بهذا الوضوح العلمي يخاطب سعاده **الموارنة** ليفهمهم ان واقع التاريخ ذاته يجعل منهم قبل سواهم **سوريين** .

ولكنه في الوقت نفسه وفي المنشورات التي وجهها الى الشعب اللبناني ودوناها في بدء هذا الفصل وفي بيان الثورة القومية الاجتماعية الاولى ، ودون ان يمس الحقيقة العلمية التي تقوم عليها الامة السورية بما فيها لبنان ، يشدد على وجوب المحافظة على الكيان اللبناني ، ككيان سياسي ، غير مطوق بالحديد والفولاذ لمنع نموه وازدهاره واتصاله الحياتي بباقي اجزاء الامة التي هو جزء آخر منها .

وانني انشر هنا خاتمة بيان الثورة المؤرخ في ٤ تموز ١٩٤٩ ، وهي الثورة التي استشهد فيها عدد من القوميين الاجتماعيين ثم اعدم على اثرها سعاده رمياً بالرصاص في محاكمة صورية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، فكان استشهاده اروع تعبير عن بطولة هذه الامة المؤمنة ، اذ تقبّل الرصاص وهو يقول لجلاديه : شكراً!

ان هذا البيان يدحض الاقاويل والاشاعات التي روجتها الدعاية الحكومية في عهد الطغيان الذي باد : ان سعاده كان ينوي تقويض الكيان اللبناني وتسليمه لقمة سائغة الى الخائن حسني الزعيم .

قال سعاده في خاتمة بيان الثورة :

ان الرجال المتسلطين على الشعب اللبناني بطرق الارهاب والتزوير في الانتخابات والتنكيل بالقوى السياسية الفتية الناهضة بمبادىء الحياة الاجتماعية الجديدة قد داسوا ارادة الشعب الحر ، ووقفوا حجر عثرة في سبيل حريته وحاربوا المبادىء السياسية العامة التي تؤمن خيره وارتقاءه ، وعبثوا بسلامة الافراد والعائلات وعرضوا حياة الافراد الآمنين للخطر وعائلاتهم للترويع وقصدوا اذلال الناس بواسطة الارهاب والتنكيل ، فشكلوا نوعاً خطراً من قطع الطريق السياسي او الحكومي فضلاً عما وزعوه من مفاسد ملأوا بها الدواوين ،

لذلك

فان الحزب القومي الاجتماعي يعلن الحكومة طاغية خارجة عن ارادة الشعب ، معرضة خيره للمحق وسلامته للخطر ويثبت هنا ما اعلنه من قبل في صدد المجلس النيابي الذي تشكل بتزوير فاضح للانتخابات التي جرت سنة ١٩٤٧ في جو من مطاردة السياسيين وارهاب المعاكسين ، اي ان هذا المجلس ليس مجلساً شرعياً ولا يمكن ان يمثل حقيقة ارادة الشعب ويعلن الثورة الشعبية العامة لاجل تحقيق المقاصد التالية :

١ — اسقاط الحكومة وحل المجلس النيابي واعتبار مقرراته التشريعية في السياسة الداخلية الناتجة عن مساومات خصوصية باطلة .

٢ — تأليف حكومة تعيد الى الشعب حقوقه وحريته وارادته المسلوبة .

٣ — وضع دستور صحيح ينبثق عن ارادة الشعب يحل محل

الدستور الحاضر الفاقد الصفة الدستورية الصحيحة ويضمن المساواة في الحقوق المدنية والسياسية لابناء الشعب ويجعل التمثيل السياسي على اساس المصلحة القومية بدلا من اساس المصالح الطائفية والعشائرية الخصوصية .

٤ – عدم التعرض للوضع السياسي السابق .

٥ – توطيد الاستقلال اللبناني على اساس ارادة الشعب الحرة .

٦ – احترام المعاهدات والاتفاقات المعقودة مع دول اجنبية .

٧ – المحافظة على الامن العام والاملاك الخصوصية .

٨ – مقاومة التهديد الشيوعي للنهوض القومي الاجتماعي وتحرير العمال من الاقطاع السياسي الشيوعي .

٩ – تحقيق المبادىء القومية الاجتماعية الاصلاحية التالية :

آ – فصل الدين عن الدولة .

ب – منع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين .

ت – ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب في الاجتماع والثقافة .

ث – الغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العمل وصيانة مصلحة الامة والدولة .

ج – انشاء جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الامة والوطن .

١٠ – تطهير ادارة الدولة من الرشوة والفساد والتحكم .

١١ – تخطيط سياسة اقتصادية قومية ترتكز على الوحدة

الاقتصادية في البلاد السورية وضرورة قيام نهضة صناعية–زراعية على اسس متينة .

١٢ – المباشرة بسرعة بازالة الحيف عن العمال والمزارعين .

١٣ – القضاء على الاحتكار والطغيان الرسماليين .

١٤ – اطلاق سراح المأسورين والتعويض عليهم عن خسائرهم المادية بسبب اسرهم غير المبرر .

١٥ – اعادة كل قومي فقد عمله بسبب عمليات الاعتقال والاضطهاد الى عمله وكذلك كل من سببت له الاعتقالات فقد عمله ، وان لم يكن من اعضاء الحزب القومي الاجتماعي .

١٦ – اعادة كل قومي اجتماعي صرف من وظيفته الحكومية بسبب انتمائه الى الحزب القومي الاجتماعي الى وظيفته السابقة والتعويض عليه .

١٧ – الغاء جميع الاحكام المعطلة الحقوق المدنية والسياسية .

ان الحكومة اللبنانية الخائنة حرية الشعب ، العابثة بحقوق ابنائه قد فرضت بجشعها ورعونتها الثورة عن الحرية المقدسة وعن حياة ابناء الشعب وارادته ، وقد قبلت حركة الشعب الكبرى التحدي واعلنت الثورة .

فالى الثورة على الطغيان والخيانة ايها الشعب النبيل .

مقر قيادة الثورة العليا

في ٤ تموز سنة ١٩٤٩ القيادة العليا

من هذا البيان يتضح ان سعاده ورفقاءه استشهدوا في سبيل انقاذ لبنان . في سبيل اقصاء الطغاة والطغيان عن لبنان . في

سبيل توطيد الاستقلال اللبناني على ارادة الشعب الحرة . في سبيل وضع دستور صحيح منبثق من هـذه الارادة الحرة وتخطيط سياسة اقتصادية قومية ترتكز على الوحدة الاقتصادية في البلاد السورية .

والثورة التي قيل فيها انها كانت ثورة ضد الكيان اللبناني، كانت ثورة لمصلحة الكيان اللبناني لا عليه .

وهكذا لو قرأنا جميع ما خطب سعاده وما كتب ، نراه واقعياً ، الى جانب الروح العلمية التي تسود خطبه ومباحثه **فهو لم يقل بضم لبنان الى الشام او الشام الى لبنان . انه قال بنمو هذه الكيانات ضمن النهضة القومية الاجتماعية ، الى ان تتولد فيها ارادة شعبية عامة تقرر لها كيانها النهائي ، عندما يتم نضجها ووعيها وتتوفر لها الامكانيات بشتى انواعها واشكالها.**

ولعمري فان التفكير والعمل على اساس تطوير كيانات ضمن اطارها الطبيعي ، امر لا ينقضه الا كل من تحجر ضمن قوالب الرجعية وعداوة التقدم والارتقاء !

هذه هي واقعيتنا التي ترى الواقع على حقيقته ، تماماً كما يفعل الطبيب الحكيم الخبير ، فتصف له العلاج الموافق .

بينما الواقعية لدى « الانعزاليين » هي في بقاء القديم على قدمه، ومعالجة المرض برفع حرارة المريض واعطائه العقاقير التي تودي بحياته .

نحن لسنا غرباء عن لبنان ، اننا نرى اسباب التنافر فيه والتنافس الطائفي البغيض . نحن نعلم ان القول بضم لبنان الى

سوريا (الجمهورية الشامية) او العمل لهذا الضم ، يشكل حالياً عملا لا قومياً ، لانه يزيد في اسباب البلبلة والتفرقة ، وقد يعرض لبنان الى هزات تعود به الى الوراء ، تخبطاً وتفرقة وتناحراً .

لذلك نعترف بالكيان اللبناني ، نطاق ضمان للفكر ، نطاق ضمان للحريات ، نطاق ضمان للنهضة القومية الاجتماعية ، نطاق حياة للفكر القومي الاجتماعي ، الكفيل وحده ، في مجرى التطوير الذي يقوم به بالقدوة والتبشير والعمل الايجابي ، بحل جميع مشاكل الوطن واسباب تفككه وتأخره .

واننا نسجل رأي الحزب القومي الاجتماعي في الكيان اللبناني بما ورد في تصريح الزعيم منذ سنة ١٩٣٧ في جريدة النهضة ، رقم ١٤ تشرين الاول من هذه السنة وهو منشور في النظام الجديد عدد آب ١٩٥٠ : وهذه السؤالات المطروحة على سعاده والاجوبة عليها :

س : اتهم الحزب السوري القومي الاجتماعي بالعمل لهدم كيان لبنان . فهل هذا صحيح ؟

ج : لقد جرى الاتهام ولم تثبت صحته والحقيقة اننا لسنا اعداء الكيان اللبناني ولسنا حزباً يطالب بالوحدة السياسية الاعتباطية التي يريدها بعض المتزعمين لاسباب غير قومية وان تسترت بالقومية **بل نحن حزب يعمل للوحدة القومية اولا** . الوحدة السياسية غير متعلقة بنا رأساً بل مرجعها الامة ونحن في لبنان **نعمل بصورة ايجابية ضمن الكيان اللبناني** لنجاح الشعب اللبناني .

س : كيف توفقون بين عقيدتكم القومية الاجتماعية والكيان اللبناني ؟

ج : ان عقيدتنا القومية الاجتماعية شيء اجتماعي والكيان اللبناني شيء سياسي **ونحن لا نخلط بين الاثنين ...**

ان الحزب لم ينشأ لتحقيق رغبات الذين لهم في الوحدة السياسية اغراض تتستر وراء المصلحة القومية ولا للقول ببقاء حالة معينة تستفيد منها فئة من الناس . بل انشيء الحزب السوري القومي الاجتماعي ليعمل على تطوير حالة المجتمع وتوحيد العقائد في عقيدة واحدة هي العقيدة القومية الاجتماعية التي لا عقيدة غيرها تكفل زوال النظريات الخصوصية وتضمن توحيد الشعور والاتجاه.

بينما كانت المدافع مصوبة
على دمشق في ٣١ آب ١٩٢٠ ،
وبموجب قرار رقمه ٣١٨ ، خلق
الجنرال غورو بشطحة قلم لبنان
الكبير !

مدام دي سان بوان (حفيدة لامارتين)
في كتابها « الحقيقة عن سوريا » صفحة ٢٤

الفصل السادس

ماذا يقول الانعزاليون

من مقارنة ما ورد في شروح وبيانات سعاده وتصريحاته بصدد لبنان يتضح جلياً انه يعتبر الكيان اللبناني نطاق ضمان للحرية اطلاقاً ولحرية صراع العقائد تخصيصاً كما يعتبره مركزاً لانطلاق انوار النهضة القومية الاجتماعية التي هي الضامن الاخير لخير الشعب اللبناني وعزه ورخائه ، والضامن الاخير لراحة مسيحييه وحرياتهم الى جانب راحة وحريات باقي المواطنين. وهو بالاستناد الى هذه الحقائق والاهداف ، ركز المنهاج الانتخابي للقوميين الاجتماعيين كما ركز دستور الثورة القومية الاولى على مبدأين اساسيين :

الاول — استقلال لبنان وتدعيم هذا الاستقلال .

ثانياً — جعل لبنان دولة قومية مثلى .

وسنعود الى شرح هذين المبدأين تفصيلا فيما بعد .

اما الانعزاليون فهم ثلاث فئات :

فئة اولى : بعض رجال الدين المسيحيين وهم يعلنون صراحة تمسكهم بلبنان لانه كان ويريدونه ان يبقى ملجأ للمسيحيين ، يشعرون فيه انهم اسياد ، لا محكومون من اكثرية محمدية .

فئة ثانية : بعض المسيحيين الذين استغلوا هـذا الشعور الانكماشي، فعبروا عنه بما سموه احزاباً ، وانشأوا حوله ما سموه مدرسة . فلم يكونوا صادقين مع انفسهم ، مخلصين للحقيقة القومية العلمية ، بل سخروا العلم والقومية لمآربهم الخصوصية الاستغلالية فقالوا بأن لبنان امة وان هناك قومية لبنانية وقد تمادوا — ولا يزالون — بالتغني بالامة اللبنانية والقومية اللبنانية ، وبتكتيل فئات غير قليلة من الشعب الطيب القلب ،حولهم ، وضمن احزابهم متظاهرين بالعمل « لعلمنة » لبنان فيما هم يضيفون الى خطر التكتل الطائفي خطر التكتل الحزبي على اساس طائفي اي تسليح الطائفية وتنظيمها لتصبح اكـثر خطراً ويتسع امامها مجال التخريب اكثر فاكثر .

فئة ثالثة : واسمّيها فئة التسوية او فئة الميثاق الطائفي. وهي الفئة المحمدية المسيحية التي تقول بالامة العربية ، والقومية العربية في لبنان ، وبأن اللبنانيين عرب ولكن بالتالي تمنحهم الاستقلال والسيادة وشرطها في ذلك ان يقولوا بالقومية العربية والامة العربية .

ان هذه الفئة اعتقدت انها جاءت بالحل العملي الامثل للوضع اللبناني المعقد .

انها تزعم :

ان لبنان يتكلم العربية اذن فهو عربي .

وفي لبنان محمديون يكادون يكونون اكثرية وكلهم عرب ، فلبنان عربي .

وان المسيحيين لا يخافون العروبة بقدر ما يخافون السورية فلا يضيرهم القول بالعروبة المربوطة بشرط ان لا ينفصم الاستقلال التام .

فالانفصال اللبناني ضمن القومية العربية برأيهم ، هو الحل للمشكلة اللبنانية .

ان القائلين هذا القول اخطأوا وخرّبوا بقدر ما اخطأت وخرّبت الفئتان الباقيتان .

اولا – لان الامم والاوطان لا تنشأ بتسويات ومواثيق ، وحلول . ان الامم واقع اجتماعي . انها شيء موجود لا شيء اصطناعي . وعندما نسلم بان لبنان العربي القائل بالقومية العربية ، والامة العربية ، يجب ان يكون دولة مستقلة وذات سيادة **بصورة نهائية** ، فقد قلنا مداورة بالقومية اللبنانية والامة اللبنانية ، كما اننا متى سلمنا بان الامة يمكن ان تتألف من امم فقد اضحكنا عالمنا العالم . كما اننا اذا قبلنا بان تتوافق جماعة على اصطناع امة ووطن لا يعود بامكاننا غداً ان ان نمنع الاكراد من اقتطاع قسم من ارض وطننا لانشاء دولة كردية قومية وكذلك قل عن الاشوريين والسريان والشيعة وكل الطوائف التي تعيش في المجتمعات العربية ، فبوسع كل طائفة او طائفتين ان تتوافقا على جعل بقعة من البقاع وطناً لهما وامة ، وكما توافق المحمديون والمسيحيون على جعل لبنان امة وقومية بصورة مباشرة كما يفعل الانعزاليون او مداورة كما يقول القائلون بالقومية العربية . بل يصبح بوسع اسرائيل ان تجد مخرجاً نسلمها اياه نحن لتجعل لنفسها

في وطننا كيانا شرعيا .

ثانياً : في اساس ميثاق ١٩٤٣ والقول بالاستقلال اللبناني المطلق تقوم حقيقة يراها المتأمل المتبصر دون اجهـــاد النظر . المحمديون الذين قبلوا بلبنان قبـلوا به تخلصاً من النير الفرنسي من جهة ، ولكي يرتاحوا من السلبية واسباب النزاع الداخـلي ويصبحوا وزراء ورؤساء وزارات ونواباً وينعموا بالسفارات والوظائف ، من جهة اخرى ، فليس اذن في قلوبهم ولاء قومي للبنان كأمة . كما ان المسيحيين لم يقبلوا بذهاب فرنسا ويحمـل بعضهم السلاح ضدها الا شرط الاستقلال اللبناني ، وخوفاً من حرب طائفية جديدة بين المحمديين الاستقلاليين والمسيحيين طالبي الانتداب الفرنسي ومحبذيه لحمايتهم .

من هنا نستنتج ان ولاء المسيحيين والمحمديين للبنان ولاء مشروط . ولم تقم امـة من الامم وتنهض وتفلح اذا كان ولاء شعبها لها ولاء مقيداً بشرط ، يمكن ان ينهار عند اول صدمـة او عند اول خلاف .

ان الولاء للامة لكي يكون ولاء يجب ان يكون مطلقاً .

انه ولاء عفوي وجداني ينبثق من اعماق النفس مندفعاً بحرارة المحبة للارض التي انبتتنا وضمت رفات اجدادنا وبالحياة الواحـدة التي تجمعنا تحت جناحها وبالمصير الواحد الذي قررته طبيعة بيئتنا لنا وبالمصالح الاساسية التي تلفنا باطارها جميعاً ، والتي لو مُست مُست مصلحة كل واحد منا ، ولا اخالني بحاجة الى اقامة الدليل على اصطناع الامة اللبنانية والقومية اللبنانية المباشر (الانعزاليون)

والمداور (العروبيون) فان رياض الصلح وعبد الحميد كرامه وعمر بيهم من المحمديين كانوا – مـــا عدا عمر بيهم – اعضاء في الكتلة الوطنية الشامية وكانوا يطالبون جهاراً بالوحدة السورية – بما فيها لبنان ، وقد سجنوا وشردوا من اجل هذه المطالبة ومـا بيان المؤتمر السوري الذي انعقد في دمشق برئاسة عبد الحميد كرامه سنة ١٩٢٨ والذي ذكرت فيه الوحدة السورية والامة السورية صراحة الا دليل قاطع على صحة هذا القول .

والمسيحيون الذين ذكرت مؤلفاتهم كداود بركات ونـدرا مطران واسكندر عون وفؤاد عمون وخير الله خيرالله وشكري غانم **ايضاً لم يكونوا الا من القائلين بالامة السورية والدولة السورية** ، على الاساس التاريخي الجغرافي ، ومن ضمنها لبنان والذي تخلى منهم عن عقيدته فعل تحت ضغط الظروف ومسايرة لوضع مصطنع ، وتحت تأثـــير الارادات الاجنبية والمنافع الخصوصية .

حقيقتنا وباطلهم

ان سعاده بدأ بوضع احجار الزاوية في رسالتـه منطلقاً من النظرة العلمية لنشوء الامم . انه لم يضع كتابا لنشوء الامـــة السورية ليجعله اساساً لنشوء اية امة ، انه بالعكس درس معنى الامة اطلاقاً وتابع نشوء الامم في العالم ، وتطور الفكر الاجتماعي منذ القدم ، ليتوصل الى تحديد علمي للامة والقومية . انه لم يقل ان لبنان واقع طوائف (كما ذكر الاب مخايل ضومط في المجلة

الكهنوتية) تحت عنوان : (**طوائف واحزاب**) وبالتالي ان واقعاً من هذا النوع يجب ان يطبق عليه تحديد للامة مستخرج من شذوذ الوضع اللبناني ، لا من صميم العلم ، بل توصل بعد التقصي والاستقراء والمقايسة ، والتحقيق والتدقيق الى احدث تحديد لمعنى الامة . وعلى اساس هذا التحديد تساءل من نحن؟

عندما يعي الانسان وجوده، اول ما يسأل عن اسمه ،لذلك يلقن هذا الاسم ليعرف به . وعندما وعى سعاده وجوده القومي اول ما تساءل عن هوية امته وبعد ان امعن في استطلاع المؤلفات الاجتماعية والتاريخية والجغرافية ، وبعد ان سلط عليها عقله المحلل المولد المدقق استخرج القاعدة التي تصلح اساساً للجواب فقال باننا سوريون ، وان امتنا سوريا امة تامة ذات سيادة مطلقة على ارضها ومصالحها .

هنا يختلف سعاده مع باقي المؤلفين والادباء الذين صدّرنا هذا البحث بقطع من ادبهم، كجبران والريحاني وعمون والمطران وبركات ومي زياده وسواهم .

ان كل هؤلاء كانوا يعرفون بلادهم — بما فيها لبنان — بسوريا ، ويتغنون بها وطنا وامة ، كان ذلك شيئاً يجري على اقلامهم بوحي الغريزة او بوحي ماتلقنوه من التاريخ والجغرافية، وكأي امر طبيعي مفروغ منه لا مجال للنقاش فيه .

اما سعاده فانه لم يقل عن نفسه سورياً ، وعن بلاده سوريا ، الا بعد ان اشرقت في نفسه معالم امته ، على وضح التحديدات العلمية ، بعد ان تتبع واستقصى . بعد ان تجوهرت بين يديه

فكرة الامة ومعنى القومية وشخصية الامـــة . ومن ثم راح يسترشد بواقع الحياة، بالواقع الطبيعي، الى ان اتضحت له حدود بلاده ووطنه فاذا هي تضم ما بين النهرين ، وشرق الاردن ، وفلسطين والشام ، ولبنان (اي سوريا الجغرافية ـ التاريخية) .

وبعد حصول هذا الاقتناع الوجداني ـ العلمي الذي صار فيما بعد عقيدة وايماناً اسس سعاده الحزب السوري القومي الاجتماعي، ليحقق الرسالة القومية الاجتماعية. وعندئذ فقط وجد نفسه واضحاً لنفسه وللآخرين : فلم يعد عروبياً مع العروبيين ولبنانياً مـــع اللبنانيين وفلسطينياً مع الفلسطينيين ، لقد اصبح حقيقة واحدة ، لا تتجزأ ولا تراوغ ولا تهادن ، وهي الحقيقة السورية القومية الاجتماعية .

ان سعاده لم يفعل مثلا كسلوم مكرزل الذي كتب سنة ١٩٢٣ في القومية السورية وكان يعتبر نفسه مواطناً سورياً ثم عاد سنة ١٩٤٩ فاتهم سعاده بالخيانة العظمى لانه قال بالقومية السورية.

وهنا لا بد لنا من ملامسة نظرة سعاده الى الامة ، لـــكي نتبين الاسس العلمية التي تميزت بها هـذه النظرة ، لنعود فنشرح قيمتها العملية وكيف انها وحدها تصلح لحل جميع مشاكلنـــا القومية ، بما فيها المشكلة اللبنانية التي نعترف انها قائمة بالفعل نافرة النواجذ مهددة لا الكيان اللبناني وحـــده بل جميع الكيانات السورية بخطر جسيم .

لقد حدد سعاده الامة في الصفحة ١٧٨ من نشوء الامم (طبعة اولى) بانها جماعة من البشر تحيا حياة موحـدة المصالح ، موحدة

المصير ، موحدة العوامل النفسية ـ المادية ـ في قطر معين يكسبها تفاعلها معه في مجرى التطور ، خصائص ومزايا تميزها عن غيرها من الجماعات .

وقال في الصفحة ١٦٦ (وهو في ذلك متوافق اساساً في تحديده مع مانتشيني وايرانوف اللذين تميز عنهما بالقول بأن حقيقة الامة في وحدة حياتها) **لا امة على الاطلاق بدون قطر معين محدود .**

والامة تجد اساسها قبل كل شيء آخر في وحدة ارضية معينة تتفاعل معها جماعة من الناس وتشتبك وتتحد ضمنها . ومتى تكونت الامة واصبحت تشعر بشخصيتها المكتسبة من مناخ ارضها وموادغذائها وعمرانها ومن حياتها الاجتماعية الخاصة وحصلت من ذلك على مناعة القومية اصبحت قادرة **على تكميل حدودها الطبيعية** او تعديلها على نسبة حيويتها وسعة مواردها وممكناتها .

وقال في صفحة ١٩٣ : **ان الارض هي اولى امكانيات الحياة على الاطلاق** واليابسة عموماً هى اولى امكانيات حياة الحيوانات ذات الجهاز التنفسي **واولى امكانيات حياة الانسان . البيئة الجغرافية ضرورية لحياة المتحد او المجتمع ضرورة الارض للحياة .**

وفي صفحة ١٤ : ولعل سوريا افضل مثال للبيئة التي تصهر الجماعات المختلفة النازلة بها وتحولها الى مزاج واحد وشخصية واحدة.

وفي نفس المعنى قال رنان : ان الامة **هي تزاوج جماعة من البشر مع ارض .**

وفي نفس المعنى قال الاب لامنس : لعل اعظم ظاهرة في

الشخصية السورية هي قدرتها على صهر الجماعات النازلة بها . وانه لا شيء في التاريخ من الكوارث والمحن التي حلت بسوريا استطاع ان يحملها على التخلي عن شخصيتها وطابعها المميز . وبنفس المعنى قال آرنست باركر : ان البيئة بالنسبة للامة هي البيت بالنسبة للعائلة .

اذن من العامل الطبيعي — العامل البشري (اذا استطعنا ان نستعمل هذا التعبير) وتفاعله مع الجماعات البشرية التي تتفاعل ضمنه انبثقت نظرة سعاده الى الامة . وهو ليس اول من قال هذا القول ، فقبله ماتشيني وايراتوف ورنان وآرنست باركر (الانكليزي) توافقوا عليه .

فالارض ، الوطن ، البيئة الطبيعية هي بالنسبة للامة بيتها الذي بدونه لا تستطيع ان تحيا ، ولا ان تتفاعل ، ولا ان تزدهر ، ولا ان تكون شخصيتها المميزة وتعين مدى حقوقها بالنسبة الى باقي الامم والمجتمعات .

وقديماً قيل : متى استعبدت الارض استعبدت الامة . ومن هنا نشأت الحصون والقلاع للذود عن حياض الوطن ، ومن هنا يولد الانسان ، وكأنه نذر نفسه للحفاظ على الامانة التي استودعته اياها الحياة وهي الوطن — ارض الجدود والآباء — وارض الاولاد والاحفاد ، والبقعة التي تستمر فيها حياتنا وتخلد ، والتي تنشأ فيها احلامنا وذكرياتنا ، وتنمو وتدفن ، والتي ضمن اطارها نحيا مصارعين من اجل مصير افضل لامتنا وللانسانية ، والتي اذا بعدنا عنها نصاب بمرض الحنين الى الوطن ، كأنه قطعة

من نفوسنا كما نحن قطع من ترابه وسمائه ومائه .

ولبنان كما اثبتنا بالتاريخ والجغرافية ، قطعة من سوريا ، لا سوريا الجمهورية الشامية كما يفهمها بعض المواطنين في لبنان ، قطعة من البيئة الطبيعية التي نشأت وتفاعلت فيها الامة السورية فهو داخل بهذا العامل الطبيعي الجغرافي ، في معنى الامة السورية تماماً كما تدخل العراق وفلسطين والاردن والجمهورية السورية ذاتها .

هذا هو الواقع الطبيعي ، الواقع العلمي ، لم نخترعه نحن لنخلق وطناً من وهم ، او من عصبية ، او من هوس ، او هوى او منفعة ، بل درسناه وسجلناه واوضحناه ، فاذا به ينطبق على العقل ، على شرائعه التي لا تخطيء ، ولا يمكن ان يخطئها الا عقل آخر ذو شريعة اكثر عقلانية .

فالعراق اذن بنظرنا قطعة من سوريا وفلسطين قطعة من سوريا ، وشرق الاردن قطعة من سوريا والجمهورية السورية ونسميها الجمهورية الشامية قطعة من سوريا وكذلك لبنان قطعة منها . العقل اذن ، متى سلطناه على نظرتنا الى لبنان ، يقول لنا : انكم تضعون لبنان حيث يجب ان يكون حيث وضعه الخالق العظيم ، كما يقول الاب لامنس ، حيث وضعته الطبيعة . فكيف يمكن لذي وجدان ان يقول عنكم انكم خونة لبنان ، او انكم تقوضون الركائز المعنوية التي تشيد لبنان عليها .

اجل نحن نقول : تحيا سوريا عندما نحيي بعضنا . ولكن باعتبار لبنان جزء من سوريانا الطبيعية الجغرافية ، والشام منطقة منها ، وكذلك الاردن وفلسطين والعراق ، فان هذه الحياة

لسوريا شاملة الحياة للبنان .

ان لبنان في منزلة هذه الدول ، بل ان له عليها ميزة سبق التحرر والانفلات من الجمود ، له عليها ميزة المواهب والرقي والثقافة . انه يصلح لقيادتها كما تصلح هي مجتمعة لقيادة العالم العربي باجمعه .

لقد اوضحنا بايجاز حقيقتنا — حقيقة لبنان ما يعنيه لنا علمياً ، فلنصل الى باطل القائلين بالامة اللبنانية والقومية اللبنانية .

نمي الى ّ ان الكتائب اللبنانية اسست منذ خمس سنوات مجلساً اسمه مجلس العقيدة . وكان هذا المجلس برئاسة المرحوم المحامي عبيد عيسى وقد انسحب قبل مصرعه من الكتائب . كانت مهمة هذا المجلس تحقيق غاية **الكتائب وهي العمل على انشاء الامة اللبنانية** كما تنص عليه مبادئها الاساسية .

ان خطأ الكتائب الاساسي ومن يرى رأيها من الكتل السياسية في لبنان ، قائم في هذا المبدأ : ان تسعى **لانشاء امة لبنانية** وان يوجد مفكروها اسساً لعقيدة لبنانية .

ان الامة — وهنا نرجو ان يراجع علماء الاجتماع اجمعين — لا تكون بارادة جماعة من البشر يصطنعونها اصطناعاً . انها تنشأ في مجرى التطور بين جماعة من البشر وبيئة محدودة معينة والا لكان اهل نورماندیا في فرنسا والالزاس واللورين انشقوا على الوطن الام وكونوا لهم وطناً . فلو كان لبنان الكتائب فينيقيا القديمة مثلاً لقلنا لهم ان فينيقيا امتدت حتى بلغت غزة ودمشق . فلماذا لا تكون الامة اللبنانية واصلة حتى دمشق

والاسكندرون وغزه ؟

ولو كان لبنـــان الكتائب وطن المسيحيين القومي فكيف تنسى الكتائب الوف المسيحيين المنتشرين في كل البقاع السورية وهم موارنة وارثوذكس وبروتستانت وكاثوليك وقد تصاهروا وتمازجوا مع المسيحيين في لبنان ، وهـذه ارتال سياراتهم غادية رائحة على طريق بيروت – حمص – حلب ، وبيروت طرابلس اللاذقية وبيروت – دمشق – بغداد ؟ فلماذا يسمون لبنان وطناً قومياً للمسيحيين ، وهم منتشرون في كل ارجـاء سوريا الطبيعية وهم سكانها الاصليون ؟

ولو رجعنا الى الاصول التاريخية القديمة لوجدنا ان القديس مارون نفسه ، نشأ وترعرع واسس طائفتـــه على ضفاف العاصي ، قرب حمص ، كما ان الكراسي البطريركية المسيحية في بلادنا حتى تلك التي مركزها لبنان تدعى : بطريركية انطاكية وسائر المشرق .

فاي اساس تعتمد اذن الكتائب ومن رأى رأيهـــا لتنشيء الامة اللبنانية ؟

وبماذا يجيب القائلون بالامة اللبنـانية مباشرة او مداورة فرسان الفكر في العصر الماضي ومطلع هذا العصر امثال جبران خليل جبران وامين الريحاني وداود بركات ومي زياده وفارس نمر واسكندر عمون وفؤاد عمون والمطران بولس الخوري ، بل اي تاريخ تعتمد او اي جغرافيا اذا لم تعتمد تاريخ المطران يوسف الدبس والاب لامنس وجرجي يني وقدمـــاء المؤرخين

والجغرافيين كتسترابون وبليني والقدسي وسواهم ؟

ان الصادقين مع انفسهم كالاب مخايل ضومط في « المجلة الكهنوتية » الذين لم تدخل الغوغائية الى حدودهم، ولا ارادوا بنيان الواقع من الوهم والخيال والعصبية البغيضة هم الذين لهم في قلوبنا الاحترام كل الاحترام لانهم يقولون كلمتهم مجردة عن الهوس العاطفي . يقولونها كما يجب ان تقال فقد ذكر الاب مخايل ضومط في مقاله المذكور في المجلة الكهنوتية :

ان لبنان الحديث ، لبنان ما بعد الحرب الاولى **بني على اساس الطوائف** لا على ان الطوائف تمثل قيماً نهائية بل على انها واقع اجتماعي لا سبيل الى ضمان حقوق الفرد والسلام بين الجماعات الا بالاعتراف به . ولبنان الحديث تكون مهما كان من امر الجغرافيا والتاريخ من عنصرين هامين : عنصر اول هو جبل لبنان او لبنان القديم ، وعنصر ثان هو الولايات المتاخمة للبنان . ولبنان القديم كانت اكثريته مسيحية واقله على غير دين الدولة الرسمي اي الاسلام . ولبنان القديم نال ما نال من استقلال ذاتي بفضل جهاده في سبيل عقيدة كان يخشى عليها ان تندثر اذا دمج بسائر دوائر الدولة العثمانية وبفضل اهتمام الدول الاوربية **التي ان هي حرصت على حماية ابناء دينها في الشرق فلم تكن اقل حرصاً على مصالحها ورعاياها في هذا الشرق عينه .**

ثم يقول :

وزال الانتداب فغدا استقلال البلاد لا شكلاً قانونياً فحسب **بل واقعاً سياسياً** . فهل تبدلت الحال من ناحية الشعور

الاجتماعي ؟ على انقاض الانتداب قام ما سموه الميثاق الوطني وهو تسوية **طائفية تسليماً بالواقع الاجتماعي**. على ان الايام دلت على ان وحدة البلاد لا تزال ، كما انها كانت في عهد الانتداب نصاً قانونياً شكلياً ، لا تزال في عهد الاستقلال وضعاً سياسياً ، وهي حتى اليوم لم تلج الى اقداس الشعور الفردي والاجتماعي. **لبنان دولة وليس وطناً ، في نظر كل سكانه. والشعور المشترك الذي هو رباط المواطنين الروحاني - كما ان الجنسية هي الرباط القانوني لا يزال بين ابناء الدين الواحد على اختلاف بلدانهم اقوى بكثير منه بين ابناء الوطن الواحد على اختلاف اديانهم.**

ويردف الكاتب :

« في لبنان لا يرضى المحمديون بفصل ما لله عما لقيصر ولذلك فالنصارى ايضاً في لبنان يضطرهم « تنازع البقاء » الى ان يقفوا نفس الموقف في التمسك بالطائفية السياسية . وعليه فلبنان اليوم من الناحية الاجتماعية السياسية ساحة جهاد فاما ان يقبل المسلمون على دولة علمانية وعندئذ يستقر لبنان وربما لا يعود **من داع اساسي لوجوده**، واما ان لا يقبلوا وعندئذ لا يستقر وضع لبنان، **ووجوده - ولو متأرجحاً - ضرورة لبقاء الحريات الاساسية.**

مثل هذا الكلام المعتدل نقبل اساساً للمناقشة والبحث . فالكاتب المحترم لا يحاول اختراع امة لبنانية ولا قومية لبنانية. انه يسجل واقعاً نراه كلنا ، وان رأيناه من زاوية تختلف كل الاختلاف عن زاوية حضرة الكاتب .

فعندما نعلن ان لبنان هو جزء من سوريا تماماً كالجمهورية

المسماة بالسورية ذاتها وفلسطين والاردن والعراق ، فان هذا الاعلان يحوز التقبل والرضى حتى عند الكهنة الاجلاء ، المفروض فيهم ان يغاروا على مذهبهم اكثر من اي علماني آخر . ذاك لاننا لا نتوخى تهديم لبنان ولا الاسس الروحية التي يقوم عليها بنظر بعض المفكرين السطحيين ، بل نريد ان نضع لبنان في خطه ، في محوره الحقيقي ، في مكانه ، وعندما يعترف معنا كل لبناني بهذه الحقيقة ويصبح الوجدان القومي يشدنا الى بعض ، هو الوجدان القومي الاجتماعي ، نجد عندئذ الشعور المشترك الذي يفتقده حضرة الكاتب الاب مخايل ضومط فلا تقع عليه يده ولا بصيرته لانه بالفعل غير متوفر ، في حالة التحفز الدائم لدى القوميين الاجتماعيين اينما وجدوا .

ان هذا الانسجام الوجداني الذي تحققه عقيدتنا في كل الكيانات السورية المستقلة هو الكفيل بتطويرها الى حيث تتحد او تتوحد او على الاقل تشترك اشتراكاً فعلياً في تأمين المصالح القومية .

ان رأي الاب ومن يرى رأيه في معالجة الوضع اللبناني رأي خاطيء لانه يعتقد ان الحل الوحيد للمشكلة اللبنانية ، هو ان يقبل المحمديون بفصل الدين عن الدولة « بعلمنة » الدولة التي يقبل بها المسيحيون .

ولكن علمنة الدولة اللبنانية ليست الحل للمشكلة اللبنانية . فان سكان لبنان لو كانوا جميعهم من المحمديين كما هي اكثرية سكان الداخلية لما كان من مبرر لوجود لبنان . كما ان سكان

الداخلية لو كانوا كلهم او اكثريتهم مسيحيين لما كان ايضاً من مبرر لوجود لبنان كدولة مستقلة . ان اختلاف الاديان بين السكان – كما بين ذلك حضرة الاب الفاضل – هو السبب . فعلمنة الدولة لا تزيل الطائفية والحزبية الدينية من النفوس . لان الدولة تتمثل بالسلطات والسلطات تمارسها عقول انسانية . وهذه العقول تنتخب من الشعب . فاذا كان الشعب لا يزال مغرقاً في عصبيته الطائفية ، متناحراً على الوظائف ، يضمر العداء بعضه لبعض ، فعلمنة الدولة ليست حلا اذا عنينا بها ايجاد تشريعات علمانية . انما الحل ان يوجد الوعي القومي الجامع بين مختلف الطوائف كاساس تنبثق عنه هذه التشريعات التي يتجوهر بها الوجدان الاجتماعي ، فيحل محل الوجدان الطائفي ، الحل الوحيد هو التسليم بان واقع لبنان القومي ، هو واقع الامة السورية بالرغم من ضرورة بقائه مستقلا لتقدم هذه الامة ذاتها وانه منها ، وبالتالي تربية الوجدان القومي الاجتماعي لدى جميع اللبنانيين بحيث يصبحون وحدة اجتماعية متراصة ، تجمعها غاية واحدة وارادة واحدة ووجدان قومي واحد . وعندئذ يصبح لفصل الدين عن الدولة معنى فاعل . عندئذ يستطيع لبنان ان يتحرر نهائياً من حزبياته الطائفية ، كما تحرر القوميون الاجتماعيون في لبنان وفي كل مكان من هذه الحزبيات ، **فيصبح الدولة المثلى القائدة التي نريدها – كما كررنا القول – منارة تشع وتهدي .**

وبعد ان ينمو هذا الوجدان السوري القومي الاجتماعي في باقي الكيانات السورية ، العراق وفلسطين والاردن والشام بفضل

ما تقدمه الدولة اللبنانية المثلى من قدوة في كل مناحي الحياة ، يصبح وجود لبنان كما يصبح وجود باقي الكيانات السورية غير ذي موضوع بارادة اللبنانيين انفسهم وبدافع من وعيهم الكامل لوجودهم ومصلحتهم . ان ارادة الشعب اللبناني هي التي تقرر له مصيره النهائي ولا مجال لاية قوة ان تقف في وجه هذه الارادة.

واذا كان القول بالدولة العلمانية ، وبفصل الدين عن الدولة ، مرتبطاً على نحو ما يفهم من قول الاب ضوميط ، بواقع لبنان الحضري ، كنا نحن ، وقد حملنا رسالة الدولة العلمانية الى سوريا بكاملها والى العالم العربي ، ممثلي الرسالة اللبنانية الحقيقية ومحققي هذه الرسالة .

علاجنا هو العلاج الاوحد
الذي ينقـــذ لبنان من اسباب
تداعيـه وانهيـــاره اجتماعياً
واقتصادياً وثقافيـــاً وسياسياً ،
ويجعل منه الدولة القومية المثلى
القـدوة .

المؤلف

الفصل السابع

الدولة الرجعية . ودولتنا اللبنانية المثلى

الفصول السابقة ، تبين لنا بجلاء كلي ثلاث نظرات للبنان :

النظرة الاولى : وهي ما ادعوها بالنظرة الايجابية : نظرة الادباء اللبنانيين ، الذين كانوا يؤمنون بان لبنان هو من سوريا الطبيعية ويعملون بدافع حرارة الواقع على توحيد سوريا في دولة مختلفة الاشكال، فتارة جمهورية وطوراً ملكية دستورية واخرى ولايات متحدة سورية .

النظرة الثانية : نظرة المتمسكين بالكيان اللبناني ، ككيان قومي نهائي اخير (بعض الاحزاب وبعض رجال الدين وبعض المتعصبين لمسيحيتهم تعصباً غير مستند الى احكام العقل) . وهي النظرة التي اسميها بالسلبية .

النظرة الثالثة : وهي نظرة العلم والعقل ، نظرة سعاده والحركة القومية الاجتماعية . وهي الحقيقة الاخيرة النهائية .

القائلون بالنظرة الاولى ، واكثرهم رحل الى الابد بجسمه عن المسرح السياسي والفكري ، ولم يعودوا بيننا الا بما القوا وما عملوا ويمكننا ان ندعوهم بالسابقين لعهد النهضة القومية الاجتماعية ،

هياوا لها احساساً عاماً ، ونشروها في اوساط الشعب غير مجوهرة في اطار علمي واضح .

والقائلون بالنظرة الثانية ، وهم لا يزالون ينشطون شعبياً ، وعامودياً في صميم السلطة والحكومة والوظائف . هؤلاء منهم من يعمل عن قناعة وحسن نية ، مؤمناً ، ومنهم من اتخذ اللبنانية سلماً للوصول الى النيابة والحكم والوظائف .

ان واقع اصحاب هذه النظرة ، هو انهم لا يفتحون صدورهم للنقاش ، ولا يقبلون الا بالوضع الراهن ، وكل من سعى لتبديل هذا الوضع ، كان بنظرهم اما خيالياً ، او مغالياً ، او خائناً .

ان ما نريد ان نثبته في هذا البحث ، — وهو بحث بنائي لا تخريبي وقد اردناه بنائياً لاننا نرفض التخريب من اجل التخريب — هو النتائج العملية التي بلغها القائلون بالنظرة السلبية — بالقومية اللبنانية والكيان اللبناني النهائي .

هذه النتائج ، اذا لم تكن تدعو الى اليأس ، فهي على الاقل محزنة مؤسفة .

واذا كان ليس من البداهة دائما ان نقيس صحة اية فكرة او عقيدة بنتائجها التنفيذية ، فالواقع في لبنان لا يدل الا على فشل القائلين هذا القول فشلاً ذريعاً .

فمنذ الاستقلال حتى اليوم ، نجد ان العلل والمفاسد التي كانت سبباً في انهيار الدول والامبراطوريات ، ناهشة جسم لبنان ، ناشرة الفوضى في ربوعه ، مضخمة اسباب فقره وتدهوره .

لم يجد حتى اليوم احد الذين يحبون لبنـــان على طريقتهم ، ويريدون انشاء قومية لبنانية علاجاً للاوضاع الفاسدة الا النداءات: الاصلاح ! الاصلاح !

ففي كل الحقول والميادين ، حتى في الادارة والقضاء ، نجد اسباب التذمر والشكوى وفقدان الثقة بين المواطنين فيما بينهم من جهة ، وبينهم وبين السلطات من جهة اخرى .

ولو طلب الى اللبنانيين اليوم ، تحت قيادة صالحة ، القيام بانقلاب على غرار سنة ١٩٥٢ لما تأخروا ، لا لانهم يشكون في سلامة نية الحاكمين ، بل لان نتائج حكمهم لم تحقق رغباتهم في الاصلاح والتقدم والعمران .

السبب في كل هذا ان الاساس فاسد . ان النظرة التي يقوم عليها لبنان ، نظرة التراضي والتسوية ، نظرة خاطئة ، فهي تحمل في ذاتها اسباب الفساد وعلة الفوضى .

والعلاج هو في النظرة القومية الاجتماعية وحدها . في النهضة التي قامت عليها فأصلحت وعمرت على الاقل في القلوب والنفوس . في الاساس الجامع الموحد الذي يشكل عامودها الفقري : الوحدة القومية والنظام الجديد .

في ما يلي سنوازن بين واقع الحال وبين خططنا الاصلاحية ، او بالاحرى بين النتائج التي بلغناها في الجماعة القومية الاجتماعيـة والتي سنبلغها حتما في مجموعة اللبنانيين ولبنان فيما لو وعى اللبنانيون مبادئنا واتخذوها لهم ايماناً :

سندرس تباعاً الابواب الاتية :

اولا : الطائفية .

ثانياً : الهجرة .

ثالثاً : التقهقر الاقتصادي .

رابعاً : الفوضى الاخلاقية .

خامساً : الفردية والعشائرية والطبقية والعائلية والاقطاعية .

سادساً : الدعاوات الاجنبيـة .

سابعاً : البلبلة العقائدية .

ثامناً : نظام الدولة وهيبتها (النظام البرلماني).

تاسعاً : بناء الدولة القومية المثلى في لبنان .

اولاً ـ الطائفية

من اعجب واغرب ما يلقاه المتأمل في لبنان التناقض الفاضح بين درجة رقيه الظاهر وانحطاطه النفسي الداخلي .

فبينما تجد النوادي الادبية ، والجمعيات والاحزاب والمجلات والجرائد والمؤلفات ودور السينما واللهو ، وكلها في ظاهرها تساير التقدم والرقي والمدنية ، وبينما تشاهد الاناقة والترتيب والبذخ وبينما تختبر ان درجة الاميين تخف كل عام بسبب الاقبال المنقطع النظير على العلم ، وبالنظر لتجهيز لبنان بثلاث جامعات اللبنانية والاميركية واليسوعية ، وانشاء المدارس الرسمية والطائفية بكثرة وبينا تقع عيناك على اجمل وابدع سهول وجبال وبحر ، واطيب وانعم مناخ في الدنيا ، تكاد تصعق عندماتغوص رويداً رويداً لتضع يدك على النفسية السائدة في الشعب وفي القادة .

اول ما تطالعك الطائفية . فهي الاسفين الذي دقه الاجانب من بني عثمان الى الفرنسيين الى الانكليز الى الروس في صلب لبنان . دقوه ولا يزالون يستثمرونه . وكأني بهم خافوا ان تخبو ناره كلما تقدمنا صوب الرقي ، فأنشأوا اسرائيل الى جانبنا لتكون هي نفسها مصدر غذاء للطائفية عندما يعوزهم حافز لنارها البغيضة ، فيما هي ، لو وعى اللبنانيون وانصفوانفوسهم ، اهم عامل ـ بعد النهضة القومية ـ يجب ان يشدهم الى بعضهم البعض

تجاه الخطر المداهم، خطر الغزو الاسرائيلي.

عندما كان الاتراك الحاكمين ، كانوا يشدون ازر المحمديين ليثيروا النعرات . فلما لجأ المسيحيون الى الغرب واخـــذ ملوك فرنسا الموارنة تحت حمايتهم ، واعطيت الامتيازات للجبل اللبناني، راحوا في قلب هذا الجبل يثيرون عـائلة على عائلة وطائفة على طائفة .

ولما جاء الفرنسيون ظن المسيحيون ان ساعة الثأر قد دقت ، فهبوا يردون الكيـل كيلين وذلك بشهادة الفرنسيين انفسهم . فقد جاء في النشرة الرسمية السرية رقم واحـــد الصادرة في شهر حزيران سنة ١٩٢١ كتقرير شهري عام عن المفوضية العليا للجمهورية الفرنسية ، في الصفحة السابعة اشارة الى التناحر الطائفي في ما يلي:

« ان الموقف السياسي لا يزال معقداً في لبنان ، حيث تستمر الخلافات التقليدية بين محمديين ومسيحيين ولا تستجاب دعـوة فرنسا الى الاتحاد (؟)

« فالمحمديون بدأوا حملة معارضة لتخوفهم من الاهميـة التي يمكن ان يأخذها الموارنة المتمسكين بامتيازاتهم .

« والمسيحيون انفسهم منشقون على بعضهم بدافـع الغايات الشخصية .

« ويجب ان نعترف ان لهجة التحدي الظـاهرة في الصحف المسيحية كانت الحافز الاول للهجوم الذي شنه المحمديون .

«والمفكرون الذين وهبوا سهولة النطق والخطابة يستخدمون مواهبهم لمصالحهم الفردية لان مبادىء التضحية والتجرد للمصلحة

العامة لم تفعل في نفوسهم بعد » . انتهى نص النشرة الرسمية .

وما نكاد نصل الى الاستقلال حتى تكون الطائفية قد عاثت فساداً واصبحت سرطاناً .

فمن تكريسها في الدستور ، الى تكريسها في النفوس ، الى استخدامها مطية لذوي الاغراض وانوظائف والرئاسات ، الى تكتيلها في منظمات تتناحر حيناً ليلتئم شملها حيناً آخر لغايات ظرفية طارئة .

في كل قرية ، في كل حي ، لا يزال اللبنانيون يتصارعون طوائف في السر والعلن .

لا يزال الرسميون والمثقفون يتداعون الى الولائم والمآدب ويتحالفون في السياسة ، ويتشاركون في المغانم والمغارم وعندما يخلو كل واحد منهم الى « جماعته » تبدأ الوشوشة والهمس نقداً لاذعاً او مسبات شنعاء ، وفي كل حال ، تباعد وتباغض ، وحقد يرسب فوق حقد ، فما تعرف أتعيش انت في لبنان ، في ارض سلام ومحبة ، في ارض اخاء ووئام ، ام انت على فوهة بركان يمكن ان ينفجر بين ساعة وساعة ، ولا تفه الاسباب والغايات بين الطوائف المحمدية والطوائف المسيحية .

اقول الحق : لو ان الاسرائيليين هاجموا الجنوب وقتلوا ومثلوا بمئات الخلائق ، من كل الطوائف ، لما اهتز ابن زغرتا وابن كسروان ، وابن البترون ولا هب سكان هذا الجبل الاشاوس ، ليدافعوا عن مواطنيهم وحقوقهم السليبة .

ولكن لو تضارب زغرتاوي مع محمدي من طرابلس ، او

محمدي مع احد ابناء جبيل الموارنة ، ووقع احدهم قتيلاً برصاص الآخر ، فان الفتنة تفتح عينيها ، وتذر قرنها ، ويجب ان يحتاط الجيش للامر ، وان تسهر الدولة على الامن ، وان يهب العقلاء لاصلاح ذات البين .

لا شيء في لبنان ، اكثر حساسية من الشعور الطائفي . فاذا دق المسيحيون الجرس ، هب المحمديون لاستعمال مكبرات الصوت ، وقام المسيحيون بتعليق الصلبان في الشوارع . واذا اطلق اهالي البسطة بعض العيارات النارية في عيد المولد يجب ان تلتهب الاشرفية نيراناً وقنابل ورصاصاً في عيد الميلاد لكي لا يختل التوازن .

لكان هذا الشعور ، لو انه شعور تقوى وتعصب ديني ، مقبولا فالدين في جوهره ملطف للطبائع ، ملجم للغرائز ، منق للنفس . انه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . انه يرتفع بالخلق نحو السمو والفضائل . انه اخاء وعطاء وتسامح وتعامل بالحسنى .

ولو اختلف المسيحيون والمحمديون على التسابق في سبيل نشر دينهم ، لكان في الامر ايضاً ما يشفع بهم ، فحتى الآن يتسابق البروتستانت والكاثوليك في كثير من بلدان العالم ومنها الولايات المتحدة الاميركية الراقية ، على التبشير والظهور بمظهر القوة والتفوق .

ولكن ان يكون هذا الشعور الطائفي السياسي الارعن ، اقوى من الشعور القومي ، وان يكون دخل في الطبع ، في الغريزة ، في السياسة ، في التعامل ، فهنا الطامة الكبرى والبلبلة

العظمى . هنا علة العلل . هنا السبب الذي يهدم كيان لبنان المعنوي ويظهر نفسيته بهذا المظهر المريض المقيت .

فاين الدواء ؟

اين العلاج ؟

في اعتقاد الكتائب ومن رأى رأيها ، ان افضل علاج هو في تنظيم القوى المسيحية ، وراء مظاهر القومية وعلمنة الدولة، لكي تكون سداً منيعاً بوجه المحمديين عند الاقتضاء .

وفي اعتقاد المحمديين ، ان لبنان يكاد يصبح دولة مسيحية ، مظهراً وباطناً وان حقوقهم هضيمة ، وكرامتهم مهدورة، فالعلاج في الهيئة الوطنية او النجادة لتكون هي ايضاً سداً منيعاً يقف في وجه التكتل المسيحي .

ولكي تتأكد من صحة هذا القول ، ندعوك الى اجراء احصاء دقيق للنجادة والكتائب والهيئة الوطنية . ففي المنظمات المحمدية تجد واحداً بالالف مسيحيين ، وفي المنظمات المسيحية تجد واحداً بالالف محمديين . كل ذلك لذر الرماد في العيون لا من باب الاقتناع الوجداني العميق. والحزب الوحيد الذي يقول بالعروبة وقد حوى محمديين ومسيحيين هو حزب النداء القومي ومن قبله عصبة العمل القومي التي لم تعمر كثيراً بسبب سوء تنظيمها وتفسخ قادتها .

وتكون النتيجة، ان قادة الرأي الذين تخرجوا من الجامعات اطباء ومحامين وصيادلة ، عوضاً عن ان يبحثوا عن الحل الموحد الجامع القوى لاسعاد الامة وتعميرها وتجهيزها بوسائل الدفاع عن

مصالحها وحقوقها تجاه الاعداء الداخليين والخارجيين ، تراهم لا يرون الاصلاح الا من زاوية الطائفية والتسابق على وظائف الدولة كأن هذه الدولة ما وجدت الا لتكون مرعى ومزرعة ورأسمالاً للسياسيين يتاجرون بها افراداً وشركات.

ازاء هذه الحالة المحطة من قدر لبنان والمواطن اللبناني، الذي يوزع الذكاء والمروءة والشجاعة اينما حل ، جاء سعاده برسالة الى الامة السورية — ومنها لبنان — لتكون الموحدة الجامعة للبنانيين تحت لوائها فيعون قوميتهم الحقيقية ، وينمو شعورهم القومي ، وتصبح لهم قضية حياة ، يلتفون حولها ، لانها تعبر عن مصالحهم جميعاً ، وتجعل منهم وحدة حية منسجمة ، تتجه بشعور واحد وارادة واحدة الى المقاصد الكبرى ، تقدماً ورقياً ورخاء ، في السياسة والثقافة والاقتصاد وجميع ميادين الحياة .

العلاج الاول للطائفية هو اذن الوجدان القومي الموحد ، هو القومية الواحدة الجامعة .

والعلاج الثاني ، هو فصل الدين عن الدولة والغاء الحواجز بين مختلف الطوائف ومنع رجال الدين من التدخل في شؤون القضاء والسياسة القوميين ، هذا العلاج الثاني هو نتيجة حتمية للعلاج الاول ومتمم له .

لنتصور لحظة هذه الصور الجميلة ، الاخاذة ، ولنتأملها بخيالنا:

اللبنانيون ، دون ان يتخلى احد منهم عن تعبده وايمانه الديني دون ان يتخلوا عن احترام رجال الدين في شؤون الدين، يؤمنون بالقومية السورية ، كما آمن بها كبار مفكريهم وادبائهم قبل

الاحتلال الفرنسي وبعده، دولتهم علمانية بمعنى انها لا تعترف ولا تقر ولا تطبق الا القوانين المدنية ولا تصدر عن مصلحة طائفة او فئة ، بل عن مصلحة الدولة اللبنانية ، مصلحة الشعب اللبناني .

يؤمنون بفصل الدين عن الدولة الذي لايعني ان الدولة تحارب الدين : ان المتأمل المتجرد ، يجد ان الدين في لبنـــان انزل عن عرشه على يد هؤلاء الذين يعتقدون انهم يتعصبون له فيما ينتقضون مبادئه وتعاليمه . فعندما تحرم الدولة اعتبار الدين اساساً لتوزيع الوظائف وادارة المصالح العامة ، بل تعتمد الكفاءة وتستوحي خير الشعب ورقيه وسلامته ، فان الدين يعود الى الصدور ايماناً عميقاً ، تقى وورعاً وتسامياً روحياً ، وتبضع من حواليه كل الزوائد التي الصقت به اصطناعاً في جعله مطية للاشخاص والجماعات لبلوغ المآرب الخصوصية عوضاً عن ان يكون كما هو في جوهره الصلة التي تربط الانسان بالخالق ، والتعاليم التي تنزه النفس عن الحقارة والصغارة والاحقاد لترتفع بها تسامحاً وصدقاً ومحبة وكمالاً .

اللبنانيون وقد زالت الحواجز بين مختلف طوائفهم ومذاهبهم عندما تعتبر اعياد المحمديين الرئيسية اعياداً قومية يفرح بها كل المواطنين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، وكذلك اعيـــاد المسيحيين . وعندما يصبح صوت المؤذن وموسيقى الاجراس ، كأنها اصوات من السماء ، او ابتهالات ترتفع من الارض الى السماء ، بنظر المحمديين والمسيحيين على السواء ، وعندمـــا تلغى الجمعيات الطائفيـــة ، والاحزاب الطائفية ، لتبقى الاحزاب

والجمعيات ذات الاهداف والبرامج المتوافقة مع التمدن والتطور الحضاري ، وعندما يصبح العمل الخيري مشتركاً بين كل الفئات والطوائف ، بحيث يعملون باوامر الدين القائل بالمحبة والتعاضد ، ويمتنعون عن التفرقة والتحاسد والتنابذ ، عندما لا يبقى كشاف مسلم ولا كشاف مسيحي ولا جمعيات رياضية وخيرية طائفية . . .

اللبنانيون ، وقد شعروا شعوراً عنيفاً يبلغ الايمان بان الهمهم واحد ، وبان حياتهم واحدة ومصيرهم واحد ، وان لا عدو لهم الا اليهود ، عملاً بقول سعاده : كلنا مسلمون لله رب العالمين . فمنا من آمن بالانجيل ومنا من آمن بالقرآن ومنا من آمن بالحكمة ، اللبنانيون ، وقد شهدوا رجال الدين ، منصرفين الى اعمال العبادة والارشاد الروحي ، يطوفون المستشفيات وملاجىء العجزة وبيوت المرضى والمتعبين ، يحملون اليهم العزاء ، تاركين ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، لكي تعود هيبتهم واحترامهم الى قلوب الشعب بعد ان اصبح الشعب ينظر اليهم وكأن الدين وسيلتهم للتعيش والسيطرة والوجاهة او كأنه سيف بيدهم يشهرونه في وجه باقي الطوائف وكل من لا يخضع لهم او يذعن لمشيئتهم .

اللبنانيون ، وقد قطع دابر الطائفية ، من نفوسهم ودستورهم وقوانينهم ومحاكمهم واداراتهم العامة .

لنتصور هذه الصورة الجميلة ونغمض عيوننا دونها لكي لا تفلت !

هذه الصورة هي التي حققها القوميون الاجتماعيون في صفوفهم ، فحققوا المعجزة التي عجز عنها كل مصلح ، فاذا هم ، مع

تمسكهم كل واحد بدينه ، يشعرون ان دين القومية الاجتماعية ، قد وحد قلوبهم ونقاها ولحمها ببعضها، فاذا هم محمديون ومسيحيون يعمل كل منهم كما يشاء في سبيل الله، ويعملون كلهم بارادة واحدة جبارة في سبيل امتهم وبلادهم .

ان الله الذي خلقهم ، خلق لهم عقلاً ، يحلون به ما يعترض طريقهم من مشاكل ، ويعالجون به شؤون الدنيا على اختلاف وجوهها وان هذا العقل حتم عليهم ان يتآخوا تحت لواء القومية الاجتماعية ، فتآخوا، مقدمين للمواطنين اللبنانيين ، المثل الحي الذي يشاهدويلمس كل يوم، على ان القومية الاجتماعية وحدها استطاعت سحق تنين الطائفية — الرجعية ، ورفعت من شأن رجال الدين ، الذين وضعتهم في المكانة اللائقة بهم من الكرامة والاحترام . هذا من جهة ،

واما من الجهة اللاهوتية الصرف، فان سعاده وضع للمواطنين في الوطن، كتاباً اسماه « الاسلام في رسالتيه المحمدية والمسيحية »، بحث فيه الآيات الانجيلية والآيات القرآنية ، وخلص منها الى نتيجة ، لو تبناها كل لبناني ، على الصعيد الروحي ، لساعدت على ازالة اسباب التوتر والحدة الطائفية ، لان سعاده اغدق الادلة والحجج والبراهين ، المستقاة من الانجيل والقرآن، مثبتاً ان الدينين بالاصل واحد ، وان الله الذي اسلم له المسلمون والمسيحيون على السواء هو واحد، فكيف يجوز ان تفترق الطائفتان هذا الافتراق وتختلفا هذا الاختلاف ، وتدعيا انهما تعملان بوحي الله عز وجل؟ فالقومية الاجتماعية بتعاليمها ومبادئها ، بواقع القوميين

الاجتماعيين الذين فعلت في نفوسهم هذه المبادىء والتعاليم ، بكل ما الف سعاده وما علم ، هي الفكر والاسلوب معا ، اللذان يقضيان القضاء المبرم الاكيد – وقد قضينا بالفعل – على سموم الطائفية وتنينها وسرطانها .

وهذه اولى فضائل القومية الاجتماعية في لبنان ، مع العلم ان الطائفية موجودة في سوريا الطبيعية كلها فحيث لا مسيحية ولا محمدية نجد الطائفية بشكل آخر فهي علوية وسنية ، او درزية وسنية ، وهي سنية وشيعية ، ولا تخلو من شرورها منطقة من المناطق السورية.

فالقومية الاجتماعية التي اجتثت الدمل الطائفي من جذوره لا تجتثه فقط في لبنان بل في كل الدول السورية .

واثباتاً لما ذكرنا فوق وكأنه حدث ليكون لنا برهاناً على صحة رأينا على الحقيقة التي بدأنا باعلانها منذ ما كتبنا اول سطر في هذا الكتاب ، نضطر هنا ان نذكر ، لنكون امناء لامتنا ، الحوادث الطائفية المؤلمة التي وقعت في لبنان في الصيف الماضي ، بمناسبة قضية جورج شكر وبيان رئيس الكتائب الذي ادعى لنفسه حق الكلام باسم المسيحيين – هو القائل بانه رئيس حزب علماني –، والمطالب التي قدمتها الهيئة الوطنية المحمدية، فقد اضطر لبنان ان يقف جناحاه المحمدي والمسيحي موقف التباغض والتحاقد والتسابق على التسلح الخفي ، ولولا حكمة بعض الحكماء لنشبت فتنة لا يدرك الا الله مدى ما تخرب وما تجر من ويلات ، وما

تفتح للصهاينة والاستعمار من ابواب ونوافذ .

وكان الحزب السوري القومي الاجتماعي هنا ، كان بالمرصاد، اذ اعطى الاوامر لاعضائه ان يكونوا على اتم الاهبة للضرب بيد من حديد على يد من تسول له النفس بان يثير الفتنة، ولو دفعوا في سبيل ذلك حياتهم ودماءهم .

ان القوميين الاجتماعيين لا يقولون فقط بفصل الدين عن الدولة وبالاخاء القومي وباللاطائفية ، انهم يعملون لهذه الاهداف وانهم يقاتلون في سبيلها ، وايمانهم بها ايمان حي فاعل ، لا مجرد قول يخرج من اللسان للمكر والخداع والدعاية .

واننا ننشر هنا للتاريخ البيان الذي وضعه الحزب القومي الاجتماعي ووزعناه على الصحف والشعب في مؤتمر صحفي عقدناه لهذه الغاية في ٢٢ آب سنة ١٩٥٤

وهذا نص البيان :

تمر بلبنان اليوم ازمة طائفية حادة تكاد تشطر بنيه الى شطرين وتعصف بكيانه وتتيح للايدي المخربة الهدامة مجال العبث وللاجنبي المتربص الفرص سانحة للتدخل المباشر . ان هذه الازمة الطارئة ليست مستحدثة فقد تعرض هذا الكيان لازمات مماثلة منذ نشوئه مفتقراً لارادة شعبية موحدة وبقي رغم التسويات التي عرف بعضها بالميثاق الوطني مفتقراً الى هذه الارادة الشعبية الموحدة ، المنزهة عن النزعات الطائفية ، المنبثقة عن ايمان ايجابي يعتبر الشعب وحدة قومية اجتماعية لا مجموعة طوائف تصطنع الوحدة فيما بينها وفق الظرف ويجعل تآلفها مشروطاً .

وان الحزب القومي الاجتماعي وهو الحركة الفكرية الشعبية المنظمة التي ما فتئت منذ عشرين سنة ونيف تعطي القدوة المستمرة كيف يمكن للمواطنين على اختلاف النزعات والطوائف ان ينصهروا في وحـــدة قومية اجتماعية وان يتجهوا في المدرسة العقائدية الجديدة اتجاهاً قومياً موحـــداً ، ان الحزب القومي الاجتماعي قد رأى ان الاوان قد آن بعد هذه المهاترات الطائفية الاخيرة ، للادلاء بوجهة نظره في هذه الازمات الناشبة بالذات وارجاعها الى اصولها وجذورها الحقيقية كي لا نتلهى بالاحداث الطارئة فتغيب عن اعين الشعب الاسباب والدوافع الاساسية ، هذه الاسباب والدوافع التي كانت حركتنا القومية الاجتماعية في ما قدمت من تعاليم ومن مؤسسات حزبية عقائدية الحل الناجح الوحيد لها .

ان الحزب القومي الاجتماعي يرى ان الكيان اللبنـــاني لا يمكن ان يستمر الا بنشوء وعي قومي موحد فيه ينبثق عن ايمان بالامة وتحديد لمفهومها يكون خلواً من الرواسب الطائفيـــة . فدون حصول هذا الولاء الايجابي يبقى الامر امر تسويات عارضة وتآلف مشروط وطائفية رعناء اذا ما استثيرت عصفت بكل مقدسات الوطن . وان الحزب القومي الاجتماعي الذي كان تأسيسه منذ نيف وعشرين عاماً واستمراره على هـذا النحو من التنظيم والانتشار ورسوخ المفاهيم وتآلف القلوب والعقول فيه ، نموذجاً حياً على الوحدة الشعبية الاجتماعية المنشودة ، يقـــول برسالة خطيرة على اللبنانيين الاضطلاع بها وحملها وشق الطريق لها .

فمطلبنا الاول والاهم اذن هو ان تتحول صفة هذا الكيان من كيان طائفي الى كيان قومي ومن كيان دستوره وعرفه قائمان على التوازن الطائفي الى كيان يكون دستوره معبراً عن مبادىء قومية عامة، ومن كيان يتخبط المسؤولون الرسميون فيه بين قول بالعلمانية وبين فعل يناقض هذا القول ، الى كيان يتحمل المسؤولون فيه مسؤولياتهم في الاصلاح الجذري العميق بكل شجاعة .

وان الحزب القومي الاجتماعي — هذه الحركة الفكرية الشعبية المنظمة التي كانت في اساس المعارضة الشعبية والتي كان لها الفضل الذي لا ينكر في يوم دير القمر وفي ما سبق ذلك اليوم وما لحق به من ايام الصراع ، ان الحزب القومي الاجتماعي يحمل المسؤولين الرسميين القيمين على هذا العهد مسؤولية استمرار هذه التسويات الطائفية وهذا الوضع المتأرجح . وانه من سوء السياسة وقصر النظر ان يشجع الطائفيون الذين يظهروننا امام العالم المتمدن بهذا المظهر الزري تشكيلات واحزاباً وان يظل العاملون على احلال الولاء القومي محل الولاء الطائفي ، وعلى بناء النفوس وتدعيم الكيان بارادة شعبية واعية ، مضطهدين واحرارهم في السجون .

ان الحزب القومي الاجتماعي لن يسكت عن هذا الاجحاف بحق الوطن . فلقد كان الحزب يأمل ان يكون هذا العهد عهداً اصلاحياً يعالج جذور المشاكل ويعمل على الغاء الطائفية والاتجاه بلبنان صوب الرقي الاجتماعي السياسي الذي يستحق . على ان العهد اقام الدليل تلو الدليل على انه لم يزل في معالجته للاوضاع

يسلك طريق التسويات الجزئية التي تتجنب مواجهة المسائل من جذورها ويكتفي بالمداورة سياسة ونهجاً .

ان الحزب القومي الاجتماعي يعلن اليوم فشل العهد حتى الآن في تحقيق رسالته الاصلاحية مستشهداً بذلك على هذه الضجة الطائفية التي حاول العهد ان يكبح من جماحها بتبني بعض مطالب اصحابها المرسخة للعلة دون مطاليبهم الاخرى التي كان يمكن الافادة منها لتحقيق اصلاح اساسي ، وما جرى بصدد مذكرة « الهيئة الوطنية » ابلغ شهادة على صحة هذا القول .

وان الحزب يحدد موقفه كذلك من الفئات التي كان لها اثر في هذه الاحداث الاخيرة ليكون للشعب حكم واضح جازم بصدد الاعمال والاتجاهات . فالحزب رغم انه يرى في بعض المطالب التي تقدمت بها « الهيئة الوطنية » كالغاء الطائفية وتحقيق الوحدة الاقتصادية اتجاهاً صحيحاً الا انه يؤخذ على هذه الهيئة اساسها الطائفي ومطالبتها المستمرة بانصاف طائفة معينة كأنما المجتمع مجموعة طوائف ، وليس كما هو بالفعل ، وحدة حياة قومية لا تتعرف المواطنة فيها الى حدود . كما انه يرى في طلب الهيئة الوطنية « لعلمنة » الدولة احراجاً للسلطات واعتقاداً من الهيئة ان هذه « العلمنة » غير قابلة التحقيق على يد السلطات القائمة وتدرجاً الى المطالبة بالمساواة بين الطوائف في الوظائف . ولو راجع اعضاء الهيئة ضمائرهم واستلهموا مصلحة امتهم التي هي فوق كل مصلحة لكان عليهم هم ان يسلموا ويؤمنوا بالاساس القومي العام ويطلقوا مسألة « الحقوق المهضومة » و « الحقوق المكتسبة » وينطلقوا

في معالجتهم للامور من مقاييس عامة لا ترى الشعب طوائف بل تراه وحدة متراصة متلاحمة لا تنافس ولا تزاحم يعنان فيها تجزئة وتفسيخاً .

اما بصدد ما ذهبت اليه « الهيئة الوطنية » من مطالبة بتعديل جزئي للدستور يتناول بعض الصلاحيات فنحن القوميين الاجتماعيين نطالب بتعديل شامل للدستور يتجه بلبنان صوب التقدم الصحيح وننطلق بهذا المطلب من بيان الثورة القومية الاجتماعية وقد جاء فيه « وضع دستور صحيح ينبثق عن ارادة الشعب ويحل محل الدستور الحاضر » .

اما بصدد موقف «الكتائب» فاننا نشجب بعنف موقف هذه التشكيلة الطائفية التي خرجت في بحث الموضوع عن حدود الولاء القومي الى ارتكاب الخيانة السافرة في دعوتها المواطنين من طائفة معينة الى التعاون مع الاجنبي ، « مع الشيطان » ضد باقي مواطنيهم وهي بذلك مستعدة كما يبدو لتسهيل دخول الاجانب المستعمرين « من الابواب والنوافذ » . وهي رغم هذه الخيانة التخريبية تمتاز بقدرتها على التمويه والخداع بكل جرأة ، فتزعم على حد قول رئيسها انها « نشأت قومية وطنية » والكل يعلم كيف نشأت ولماذا نشأت . ألم تنشأ «الفالانج» عام ١٩٣٦ بايعاز من الفرنسيين وتشجيعهم لوقف التيار القومي الاجتماعي ؟ ألم تنشأ لتنظيم التعصب عند المسيحيين ، في صفوف ؟ ألم تنشأ لتكرس الاستعمار في بلادنا بوضعها في البند الاول من مبادئها نصاً يوجب التعاقد مع فرنسا ؟ وهل صحيح انها « نشأت قومية وطنية »

وهي التي تتصدى للدفاع عما تسميه حق « فئـــة » من الشعب ؟ ولماذا انبرت في المناسبة الاخيرة ترد على بيان « الهيئة الوطنية » متخذة صفة الدفاع عن حقوق المسيحيين مع انها كما تدعي « نشأت قومية وطنية » ؟ انها القومية الطائفية والوطنية الطائفية ، انهـــا الطائفية المتسترة بصباغ من الالفاظ زائف ! اما المتاجرة بالمغتربين وحقوقهم فصفقة خاسرة اذ ان قضية المغتربين لا تحل بالاحصاء ، لان تسجيل اسمائهم على الورق ، لا يحل مشكلة الهجرة ومشكلة العودة ، بل انها تحل بانقاذ الوطن والامـــة من الوضع الزري السائد فتزول الهجرة ويشجع المهاجرون على العودة ؟

اننا نتهم الكتائب بتهديم الدولة اللبنانـية وتعريض مصير الشعب للفناء والدمار ، ونتهمها باثارة الفتنة والتحريض على الشغب والاخلال بالامن ، وهذا العمل خيانة وطنية بعـرف الدستور والقانون . واذا كانت السلطات لم تجد بعد الفرصة المناسبة لحـل هذه التشكيلة الطائفية ، بل على العكس ، لا ترى غضاضة في اخذ رأيها واستشارتها في الازمات ، فان الشعب بات قرفاً من هـذه التشكيلة بعد ان سقطت الاقنعة وبانت على حقيقتها . ان الشعب بات يدرك ان هـذا العصر ليس عصر حزبيات دينيـة وعنعنات طائفية ، بل هو عصر القومية الاجتماعية ، عصر الامم المتماسكة الناهضة لبناء الحياة القومية .

انه من العار ان نعود بين الفترة والفـــترة الى الاقتتال على الوظائف بالنفوذ وان نثير في سبيل هذه التوافه فتنة لا يعلم احد عواقبها الوخيمة على الوطن والشعب ، بينما اعداؤنا الداخليون

والخارجيون يضحكون بسرهم لاننا بايدينا نوصلهم الى مآربهم وغاياتهم .

ان الحزب القومي الاجتماعي يدعو المواطنين الى العمل والبناء ويهيب بالشعب ان يتعالى بضميره القومي عن الضجات المفتعلة وان يتجه شطر الايمان بالامة وان نجعل من لبنان الكيان القدوة والمثال الذي يحتذى ومشعل العلمانية والاصلاح القومي الاجتماعي في محيطه الطبيعي والعالم العربي كله ، وان نحقق ذلك بالمطالبة بتحقيق فصل الدين عن الدولة وتعديل الدستور تعديلاً شاملا لهذه الغاية وفق بيان الثورة القومية الاجتماعية الشامل الذي وضعه سعاده في تموز ١٩٤٩ .

ويرى الحزب القومي الاجتماعي اخيراً ان يعلن بانه لن يقف مكتوف اليد ازاء مفرقي الصفوف ومثيري النعرات والنافخين في نار الفتنة باسم هذه الفئة او تلك فهو قد صمم على السهر والمراقبة والعمل عند الاقتضاء للحيلولة دون الشر بكل وسائله وامكاناته ، ومهما كانت هذه المهمة دقيقة ومتطلبة من التضحيات والفداء.

الحزب القومي الاجتماعي

٢١ آب ١٩٥٤

ثانياً : الهجرة

في مطلع هذا البحث ، نشرنا نبذة من « النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان تأليف السيد سعيد حماده » ، استاذ علم الاقتصاد في الجامعة الاميركية ، لندلل على ان الاستاذ حماده وجميع رجال العلم والفكر المخلصين للحقيقة يعتبرون ان لبنان جزء من سوريا الطبيعية ، وكانت هذه النبذة احصاء عن المهاجرين بين سنة ١٦٢٣ - ١٦٣٣ فاذا عددهم يبلغ في تلك الحقبة ٧٩٢٢٧ نسمة .

والواقع ان كل الناس يعرفون ان نصف لبنان مهاجر ونصفه فقط مقيم . وبدافع الحالة الاقتصادية الزاهرة التي بلغها اللبنانيون عبر الحدود ، نموا نمواً كبيراً ، فما حلوا ارضاً قفراء الا اعمروها ، ولا مدينة صغيرة الا كبروها ، ولا احتلوا وظيفة او مركزاً الا وكانوا فيه المجلين السباقين .

بقي لبنان ، الام . انه لا يفيد من مهاجريه الا الاموال التي يتكرم بها عليه هؤلاء الذين عمروا سواه ، وتركوه يتخبط في فقره ومفاسده وامراضه ، وبعض الربح المعنوي اذ تستطيع الصحف في لبنان ان تكتب بحق : ان المغتربين اللبنانيين يرفعون اسم لبنان عالياً .

ان التحقيق العلمي اثبت ان نزعة مواطنينا الى اقتحام المجهول هي نزعة اصيلة في نفسيتنا القومية . فالفينيقيون هم اول من ركب البحار وجاب الامصار واسمى المدن والدول واقام المدنيات

والحضارت وهم اول من علم العالم الحرف وفن التجارة والاخذ والعطاء .

ولكن هؤلاء الفينيقيين انفسهم لم يكونوا جوابي افـــاق ومشيدي ممالك ، انهم اول من تحسس بالشعور القومي ، وبقي بالرغم من المسافات والابعاد مرتبطاً بالوطن الام يحن اليها ويسعى لخيرها . اضف الى ذلك ان الفينيقيين هاجروا كجماعات متماسكة بينما اللبنانيون اليوم يذهبون افراداً تدفعهم الحاجة الاقتصادية الى الهجرة .

وان الهجرة بحد ذاتها ليست مبدئياً مرضاً ولا آفة متى كانت منظمة ، متى اشرف عليها الارشاد القومي ، وسلطت عليهـــا مصلحة الدولة .

اما في لبنان فالهجرة اصبحت مرضاً وآفة . فاللبنـاني الذي تعلم علماً ناقصاً ، واللبناني الذي عاش في قريته او مدينته حياة لا تعرف البذخ ولا الرخاء وقبل بها ، اصبح بعد ان رأى الثروات الضخمة التي يتحدثون عنها في مغاور الزمرد والياقوت (الكلمة لفؤاد سليمان) ميالا الى المغـامرة ، فما يلبث ان يبيع مايملك او يرهن ما يملك ، ليغترب الى ارض الله الواسعة ، مخلفاً وراءه اماً او اباً او زوجة واولاداً ، لا هم لهم الا استتباع خطـــاه والحنين الى لقياه . ومنهم من يؤاتيه الحظ ، فتثمر جهوده ، ومنهم من يكتفي من السفر بان حـــط رحاله في ارض جديدة واستوطن بلاداً جديدة يتوفر له ما يحتاج فيها ، دون ان يطمع بالثروة او بالمعاد .

وهكذا نودع اخواننا ورفقاءنا وابناءنا ، منذ مئة سنة ، وقليلون منهم من ولوا وجههم شطر الغرب ثم عادوا فأداروه شطر الشرق الا في زورة قصيرة او مرور عابر .

ان تسعين بالمئة من مغتربينا ، اصبحوا مواطني الدول التي استوطنوها ، فانزلتهم على الرحب والسعة .

فاذا استمرت الحال على هذا المنوال ، دون ان نجد لها علاجاً ، فاية صناعة يمكن ان نحيي ، واية مزارع يمكن ان نغرس ، واي عدو يمكن ان نهاجم او نرد عن حدودنا المهددة ، وكيف ننمو ونزدهر ؟ وكيف نوفر الايدي المعطية والايدي الآخذة ؟

كيف يمكن ان ينهض شعب ، يطلب الرزق في كل مكان الا في ارضه ؟

وكيف يمكن ان يستقوي شعب ، يطعن نفسه كل يوم بخنجر ، فاذا دمه ـ وهم المهاجرون ـ ينزف من صدره ولا من دواء ولا من طبيب ؟

الحبل على الجرار . والطائرات تشحن باستمرار . ونحن نبكي . كأن البكاء كان الا سلاح الضعفاء وندم النادمين حيث لا ينفع الندم .

الحركة القومية الاجتماعية هي علاج الهجرة .

انها ، في ترسيخها الوجدان القومي وكل ما يرتبط به من قيم ومناقب تجعل من ارض الوطن قدس اقداس ، فكأن القومي الاجتماعي قطعة من تراب امته ، اين سار واين ارتحل ، مربوط بارضه باسلاك غير مرئية ، تشده اليها شداً محكماً لا انفصام له .

ان القومية الاجتماعية هي العروة الوثقى بين الوطن وكل من يهجر الوطن طلباً لمرزق او دفعاً لضيق .

وهي الى ذلك ، في التنظيم الاقتصادي والنهضة الاجتماعية ، تجعل من لبنان ارضاً سعيدة وموطناً سعيداً ، ومن من اللبنانيين ، وقد توفرت له مقومات الحياة الجيدة ، يفكر لحظة في الانسلاخ عن نفسه ، عن اهله وعياله ، عن رفقائه واصدقائه ، عن منابع الخير والحب في كل بقعة من بقاعه ، وكأنها فلذة من كبده او صورة لحبيبته او مرمى من مرامي خياله وشعوره .

ان الحركة القومية الاجتماعية ، لا تدغدغ عواطف المغتربين بالمؤتمرات والنشرات . انها ستشترع القوانين وتسن النظم ، الضامنة لعودتهم وتشغيل اموالهم . وتوفير راحتهم وسعادتهم ، وهي ستشترع القوانين الضامنة لتحديد هجرتهم ، فلا يترك المواطن وطنه الا برخصة ، ولاسباب جوهرية ، مع اخذ الضمانات عليه ، لعودته ، لان المواطن ملك قبل كل شيء لامته وشعبه ووطنه ، لا ملك لثروة يطمع بها في ارض مهما بلغ فيها شأناً وجاهاً تظل به ارضاً غريبة ويظل بها غريباً .

ان منع الهجرة ، كمحاربة كل آفة من الآفات التي تتأكل قلب الوطن وتنهك قواه وحيويته ، ليس وحده بالضمان الاخير لكي تمنع بالفعل . ان المنع عمل سلبي . وكل سلبية لا تقابلها ايجابية بناءة تظل ناقصة عاجزة . فالحركة القومية الاجتماعية ، الى جانب منع الهجرة ، تضع تخطيطاً اقتصادياً شاملا يؤمن الازدهار ويقضي على البطالة وينمي الصناعات الوطنية ويفتح

امام الانتاج الزراعي ، وامام التجارة اللبنانية ، الآفاق الواسعة والاسواق القومية والاجنبية . عندئذ لا تمنع الهجرة بالقانون بل تمنع بواقع الازدهار والعمران والانماء .

فضلاً عن ان الحركة القومية في حربها ضد الشيوعية والاشتراكية المتطرفة وفي نهجها سياسة اقتصادية جمركية مالية تشجع الرسمال القومي المهاجر للعودة الى الوطن ، وتتمكن عندئذ من استنان التشريعات المجدية **لاجبار المغتربين خلال مهلة معينـــة وضمن شروط معينة ان يعودوا نهائياً او لمدات معقولة الى لبنان .**

بهذا التخطيط والتشريع ، سلباً وايجاباً ، تكفل الحركة القومية الاجتماعية القضاء على الهجرة واستعادة حقوقها على المغتربين ، فضلاً عن انها بالايمان القومي الاجتماعي الذي تغرسه في اوساط مهاجريها ، وفي المواطنين ، تظل العامل العفوي ، لربط المواطن بارض الوطن ربطاً لا يقوى عليه حتى الموت .

ان كلمة من سعاده كانت كافية لان تهز المغتربين في مغترباتهم وهي وحدها متى انفجرت في نفس كل منهم تشكل قوة لا ترد.

« ان لم تكونوا انتم احراراً من امة حرة فحريات الامم عار عليكم . »

ثالثاً : التقهقر الاقتصادي

كان يجب لو اننا تتبعنا في هذا البحث ، تسلسلاً منطقياً في دراسة الوضع اللبناني العام ، ان نقدم التقهقر الاقتصادي على الهجرة لانها سبب من اسبابها المباشرة .

ولكننا نعتبر ان الاقتصاد السليم لا يمكن ان يخطط له في بلاد انحلت فيها الرابطة القومية ، وتخلى عنها ساكنوها ، فهجروها هجراً لا رجوع بعده .

ان لبنان ، بالرغم من مظاهر البذخ والرفاه وبالرغم من قصوره ودوره وعدد سياراته — وبالرغم من وجود مجلس الانماء الاقتصادي والمشاريع الانشائية ، لا يزال يسير على غير هدى في الاقتصاد .

الاقتصاد عند البعض ربح لجماعة او لافراد . وعند البعض الآخر هوس سياسي ومجال دعاية . ولدى السواد الاعظم حرية الفوضى والتدمير والجشع المطبق من بعد هدم الطوفان .

العلاج الذي تقدمه الحركة القومية الاجتماعية والذي يصلح علاجاً للتقهقر الاقتصادي ـ الاجتماعي في سائر الكيانات السياسية السورية ، ينبثق من الاعتبارات الآتية :

الاعتبار الاول : ان لبنان كيان سياسي قائم في دورة الحياة الواحدة والدورة الاقتصادية الواحدة مع سائر الدول السورية .

الاعتبار الثاني : ان لبنان ، ككل الدول السورية ، لايزال

ينهج نهجاً اقتصادياً فوضوياً مستمداً من قاعدة « ترك الحبل على الغارب » غير مستوحى من حاجاته الاساسية ولا من واقعه القومي .

الاعتبار الثالث : ان لبنان بلد اصطياف وتجارة وزراعة وصناعة .

الاعتبار الرابع : ان قوانين العمل في لبنان لم تحل مشكلة العمال ولا مشكلة البطالة ولا مشكلة الضمان الاجتماعي ولا هي متوافقة مع نظرتنا الى الاقتصاد القومي ولا منبثقة من دراسات موضوعية ، بل منسوخة نسخاً عن القوانين الاجنبية المشترعة لبلاد غير بلادنا وحالة اقتصادية عمالية غير حالتنا .

كل هذه الاعتبارات تجد حلها الدائم الاساسي في المبدأ القومي الاجتماعي القائل بالغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العمل وصيانة مصلحة الامة والدولة .

من هذا المبدأ تنبثق القواعد الآتية التي نستقيها من محاضرة الاستاذ الامين جورج عبدالمسيح في الاقتصاد القومي الاجتماعي الذي فصل المبادىء العامة التي وضعها سعاده .

القاعدة الاولى :

« ان العمل هو من ميزات الحياة لتأمين الاستمرار وتحقيق التفوق الحضاري . وبمقدار التفوق الحضاري في المجتمع المعني تنمو الطاقة الانسانية في وحدتها وشمولها . فالعمل اذن هو ميزة المجتمع الحي . انه حق وواجب . والمجتمع الراقي هو المجتمع الذي يصان فيه هذا الحق في مجموع اجياله ويضمن تأدية هذا الواجب

على اكمل وجه وبتحسن مستمر . »

القاعدة الثانية :

« ان ارض الوطن كل بشمول امكانياتها المتنوعة . **وهي بهذا ملك لمالك واحد دائم هو المجتمع .**

في نظرتنا يملك المجتمع الارض لا الافراد . فالارض دائمة والمجتمع هو الدائم . الافراد في الواقع **هم قيمون على الارض تحت اشراف المالك صاحب السلطان بالتصرف الذي هو المجتمع .** »

القاعدة الثالثة :

« الرسمال ضرورة لا مندوحة عنها في كل نظام اقتصادي راق . اما الرسمالية بمفهومها الاجتماعي والانترنسيوني الوصفي فشرّ كلها . ذلك لانها تعمل مسخرة المجتمع لافراد او لفئة منه ومسخرة الامم الاخرى للرسمال والرسماليين . النظام القومي الاجتماعي يضع الرسمال في خدمة المجتمع لا فئة منه تتسلط بقوته عسفاً . والقيمومة على الرسمال تجري مجرى القيمومة على الارض سواء بسواء »

القاعدة الرابعة :

« ان جعل الانتاج اساساً للاقتصاد اصبح من ميزات الاقتصاد الحديث في جميع الانظمة المعروفة . فالرسمالية الفردية تعتمد هذه القاعدة فتعمل لتحسين الانتاج كمية ونوعاً ولتخفيف اكلاف السلع المنتجة الى ادنى حد ممكن ليكون الربح او فضل القيمة متناسباً مع اطماع الرسمالية ومع امكانيات المضاربة في السوق

المستهلكة الداخلية والخارجية . وفي النظام الكلي يكون الانتاج اساساً لما يضمن مصلحة الدولة بمعنى الطبقة الحاكمة . وفي هذا النظام يكون التوجه الحكومي الدقيق رائد الانتاج كمية ونوعاً .

« ان مبدأ جعل الانتاج اساساً للاقتصاد القومي في النظرة القومية الاجتماعية هو المبدأ الطبيعي السليم المتوافق مع مصلحة الحياة للمجتمع المعني (اي مجتمع) .

وفي عملية الانتاج يجب ان تسير العملية على الوجه التالي ضمن امكانيات المجتمع الشاملة (العمل ـ الارض ـ الرسمال) :

١ ـ يحدد الانتاج نوعاً وكمية وفقاً لمصلحة المجتمع لسد حاجاته الحياتية .

٢ ـ توجه عمليات الانتاج للحصول على افضل الانتاج كمية ونوعاً بأقل جهد يبذل . وهذا يعني وجوب انماء الخبرة فلا تهدر الطاقة البشرية والامكانيات الاخرى » .

القاعدة الخامسة :

« ان مرافق الامة وحيويتها يجب ان تخضع لضمان مصلحة الامة في الاستمرار والتفوق ولا يجوز ان يكون في العمل ولاء لغير الامة وان تسيطر على مرافقها اية فئة منها او قوة من خارجها » .

القاعدة السادسة :

« كل سوري يجب ان يكون منتجاً بطريقة ما » . (من شرح التعاليم القومية الاجتماعية بقلم سعاده) .

وقد ختم الأمين جورج عبد المسيح محاضرته ـ التي لم نقتطف

الا جزءاً يسيراً منها – بالعبارة الاتية :

ان في النظرية القومية الاجتماعية حفاظاً تاماً على مصلحة الارض والرسمال والعمل . وفيها ضمان للمتصرفين بالارض والرسمال وباذلي الطاقة للانتاج على السواء . فكل هؤلاء يجب ان ينتجوا وكل هؤلاء هم هذا المجتمع الذي يحصل على الفائدة القصوى من الطاقة وامكانيات الارض والرسمال .

في المجتمع الحي لامكان لمستنزف مستغل . ولا كيان لطفيلي او متعسف . ولا يسمح ان يكدح جزء من المجتمع لرفاه جزء آخر ، او ان يكدح المجتمع في تنافس قاتل لمصلحة غريب مستنزف » . انتهى كلام الامين جورج عبد المسيح .

ضمن هذه القواعد المستمدة من واقع لبنان القومي في الدورة الاقتصادية الواحدة ومن المبدأ الاصلاحي الرابع للحزب القومي الاجتماعي القائل : بالغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العمل ، تحل نهائياً جميع المشاكل التي يتخبط فيها الاقتصاد في لبنان في جميع نواحيه وميادينه المادية – النفسية في الصناعة والتجارة والزراعة والعمل .

لا يمكننا في هذا البحث ان نتناول تفصيلا كيفية تطبيق هذه القواعد على الاقتصاد في لبنان ، الا اننا نستطيع ان نجزم بان بناءنا للدولة القومية الاجتماعية المثلى في لبنان سيقوم في الناحية الاقتصادية على الدعائم المشار اليها فنضع حداً للهوس العاطفي ، والتخرصات الفردية والفئوية ، وللتناحر الطبقي وللجدل البيزنطي حول الوحدة الاقتصادية مع الشام والتي يفرضها واقع الحياة

الواحدة وللسياسة الجمركية المستمدة من مصلحة الحكومة وبعض البيوتات التجارية لا من مصلحة الشعب اللبناني ، وسنوجد الانظمة الكفيلة بايجاد التناسق الحي بين مصلحة الدولة ومصلحة المنتجين اياً كان انتاجهم صناعة او غلالا او فكراً .

واننا نعتقد ان ايمان اللبنانيين بالقومية الاجتماعية يفتح هذه الابواب المغلقة بين الشام والاردن والعراق ولبنان بحيث يصبح هؤلاء مواطنين عوضاً عن ان يكونوا ابناء « البلد الواحد » ، ويصبح بالفعل لبنان جزءاً من قلوبهم ، لا للراحة والصحة فقط ، بحيث يحركهم شعور عميق بان ما يصرفونه في لبنان ليس هدراً مهدوراً ، بل شيئاً يخرج من جيوبهم ليبقى فيها . كما ان نظم الدول العربية في جبهة منسجمة ، واضحة الدستور والمصالح ، واضحة الغايات والاهداف ، يفتح قلوب هذه الدول واسواقها لتعامل اولى نتائجه الازدهار والعمران . ولم يعد خافياً على احد ان الحركة القومية الاجتماعية تضع في اساس غايتها السعي لانشاء جبهة عربية .

رابعاً : الفوضى الاخلاقية

يلاحظ المواطنون في لبنان وكل من يزوره من الخارج انهياراً مناقبياً وفوضى اخلاقية مستحكمة ، واستهتاراً بالمصلحة العامة يكاد يكون تاماً . لقد ذابت الحرمات من انفس اللبنانيين ، فلا حرمة الا للمصلحة الفردية ، مصلحة الربح العاجل ، والوصول « الاعجل » ، فمن فوضى السير ، الى الشتائم والمسبات العلنية ، الى التباهي بمخالفة القوانين وشتم « السلطان » الى الغش والخداع والابتزاز ، الى هذا الجو الدامي الذي يجعل المراقب يعتقد ان لبنان اصبح بلد القتل والذبح والاعتداء ، الى انعدام الثقة بالنفس وبالاخرين ، الى الشغب والمماحكات والتنكيل بالخصوم ، الى الرشوة والكسب غير المشروع الى حزبية الطائفة والقرية والعائلة ، بدافع الانتخابات البلدية والنيابية ، وما شاكل من العاهات الخلقية التي ليست اصيلة في امتنا بل دخيلة عليها ، بفعل الضغط المادي المتزايد والسوق السياسية التي يُغلب فيها الفقير ويظفر الغني ، ولعدم التفاف اللبنانيين بعد حول الحركة القومية الاجتماعية التي جعلت من القومي الاجتماعي مواطناً امثل ، يترفع عن الدنايا ، يحافظ على النظام ، يقدس الشرف ، يحس ان حياته ملك للامة لا ملك له ، وبالتالي يعتبر ان تصرفاته يجب ان تسدد وفقاً للمناقبية القومية الاجتماعية التي تُربّى فيها النفوس على تقديس الشجاعة والثقة بالنفس والصدق

والاستقامة والمحبة وكل هذه الفضائل التي تكون بالنتيجة الرسمال المناقبي للامم والمجتمعات .

ان الحركة القومية الاجتماعية تعتبر ان الحرية والواجب والنظام والقوة هي القيم الاساسية لحياة الامة وحياة الافراد .

ان الازمات التي يتخبطها لبنان ، واهمها اقتصادي – زراعي صناعي – اداري – قضائي – ثقافي ، تعلوها ازمة هامة ، هي رأس الازمات الخانقة ، اعني بها الازمة الاخلاقية .

عندما يتحدث المتحدثون عن ازمة القضاء وازمة الادارة نقول لهم في صراحة الطبيب :

ان المحافظ والقائمقام والقاضي والشرطي والدركي وسائر موظفي الدولة اللبنانية هم من الشعب . فاذا لم يتحرر الشعب كما تحرر القوميون الاجتماعيون فعبثا نحاول التطهير والشفاء من عاهاتنا الاخلاقية .

الحركة القومية الاجتماعية – التي هي حركة حياة ونهوض شامل ، استطاعت حل كل الازمات والصمود في وجهها لانها جوهرت انفس القوميين بجوهرها الحي الفاعل بمبادئها وتعاليمها . وايقظت فيهم اصالة نفسيتهم الراقية ، العظيمة ، فاذا بالراكد من هذه الاصالة ينهض ليفعل ، واذا بالقيم والمناقب السامية تتجلى في حياة تتحرك لا في الالفاظ المعسولة بل في بطولات القوميين وتحملهم الاضطهاد بشتى الوانه واثقاله وثباتهم على الحق ، وشعورهم بالكرامة القومية ، واحساسهم الاجتماعي وقد اصبح جزءاً من عقيدتهم – واذا بكل ما نشاهد في لبنان من روح اجرامية

ومفاسد وانانية وضعف وجبن وخور وانهيار يتقلص ويضمحل فلا نجد له اثراً في صفوفنا المنظمة المتأهبة دائما للعطاء ، التي ضربت اروع الامثلة في ميادين التضحية والفداء .

ان القومي الاجتماعي ، يعرف ان فيه قوة لوفعلت لغيرت وجه التاريخ وان بلاده شهدت جحافل الفاتحين تكتسحها، اما هو فسيضع حدا للفتوحات (سعاده) .

ان القومي الاجتماعي ، يؤمن بانه يحيا لمجتمعه — لامته ، وان شرف امته وكرامتها هوشرفه وكرامته ، وان اية خطيئة او هفوة يرتكبها ، يؤدي عنها حسابا امام ضميره القومي ، ومن بعده امام رئيسه القومي.

ان القومي الاجتماعي هو جندي ، والقوميون الاجتماعيون جيش .

واني قلتها ولا ازال اكرر إن فضائل الجندية وحدها، الجندية القومية الاجتماعية التي نذرت نفسها لتحقيق امر خطير يساوي وجودها ، لتحقيق حياة فضلى،هي الوسيلة الوحيدة-متى ارتبطت هذا الارتباط الوثيق بقضية حياة الامة فاصبحت لها هدفاً ومثلا اعلى — لانبعاث النفسية السورية الصافية ، نفسية المحبة والصفاء والبطولة والمناقب السامية النبيلة .

واني اورد هنا ، على سبيل المثال، مقاطع من دستورنا المناقبي:

لقد قال سعاده :

« ان فيكم قوة لو فعلت لغيرت وجه التاريخ » لينمي في المواطنين شعور الثقة بالنفس وبالبطولة الاصيلة في نفسية امتنا .

وقال :

« ان الحياة كلها وقفة عز فقط » .

لكي ينمي الشعور بالكرامة ، والفداء من اجل الحفاظ على كرامة الامة وكرامة المواطن .

وقال :

« نحن لا نعلن غير ما نبطن ولا نبطن غير ما ما نعلن » ليشدد على فضيلة الصراحة ، هذه الصراحة التي هي عنوان المتانة الخلقية والرجولة ، والصدق .

وقال ايضاً :

« ان الحرية صراع والحق انتصار » .

ليثبت ان الحرية ليست وضعاً استسلامياً : وانها شيء يهبط من الاحلام والسماء وان الحق ليس حجراً ملقى في الطريق بل قيم تحرسها القوة ، والارادة المقاتلة .

وقال :

« اننا حركة حياة ».

ليرفض نهائياً ان يكون العيش غاية لنا وهدفنا . وليحفز فينا زخم العمل للحياة ، والتطلع الى الآفاق البعيدة والطموح لتحقيق الوجود الافضل . ان القيمة هي في المبادىء التي تمثل نفوس الجماعة . ان القيمة هي المبادىء الاخلاقية والمطامح السامية التي تفيض بها النفوس لا في الشؤون المادية من العيش ولا باية قيمة من الحياة المادية .

ووضع رؤوساً لزوبعة الحزب اربعة مثل :

الحرية والواجب والنظام والقوة .

ليربط قيمة الحرية بقيمة الواجب وليربط كليهما بالنظام ، ويغلف الجميع بالقيمة التي تقرر مصير الحرية والحق اعني القوة :

وقال ايضا مدشنا في ذلك شريعة المحبة والسماح القوميـــة الاجتماعية .

« في هذه الحرب المقدسة نحتمل ان يلطمنا مواطن نعمل على انقاذه ، يأبى الا التدهور ونأبى الا أن نرفعـــه الى ذروة المجد القومي والعز الاجتماعي » .

ووضع اساسا للقتال والصراع وضبط النفس واحتمال الالم في هذه الكلمات القصيرة :

« نحن حزب قتال قبل كل شيء ومن حيث اننـا حزب قتال نحن حزب تفكير في القتال ونحن حزب روية في القتال نملك اعصابنا فلا يستفزنا مستفز ساعة يشاء بل نسير الى القتال بارادتنا ونختار المعركة بارادتنا نحن لا بارادة من يريد ان ان يفرضها علينا » .

ولكي تجد هذه المناقبية المعطاء القائمة عـلى البطولة والايمان جزاء صلابتها في القتال والصراع من اجل خير الشعب وعزه ، سجل سعاده اثر هذه المناقبية ونتيجتها بالنسبة للمعـطي المضحي ، فـكان انتصاره على الموت والفناء :

«قد تسقط اجسادنا اما نفوسنا فقد فرضت حقيقتها على الوجود.»

« ان هذا الانتصار اقوى من كل عوامل اخرى لانه انتصار الوجود القومي الاجتماعي على العدم فهو انتصار اكيد لنا في الحياة وبعد الموت . انه الانتصار على الموت والفناء .. »

الى جانب هذا الدستور المكتوب ، وما ذكرناه جزء مـن

مجلدات ، يوجد دستورنا غير المعروف الا اعمالاً عظيمة وصبراً طويلا ومعاملة صافية شريفة .

فمن الذي قبل سعاده ورفقائه اعطى دمه من اجل قضية الامة ، في العصور الاخيرة ؟

ان في العالم وفي بلادنا قوماً ماتوا في صراعهم ضد المستعمر في معركة او تظاهرة . انهم سجلوا نوعاً من البطولة القومية .

اما سعاده ورفقاؤه الذين فعلت فيهم القدوة التي اعطاها والتعاليم التي غرسها في نفوسهم مبادىء للحياة ، فقد كانت حياتهم استمرار بطولة الى ان ختموها بتقبل الرصاص يخرق صدورهم وهم شاكرون ؟

من قبل القوميين الاجتماعيين ، استطاع ان يحافظ على مثاليته ، فكان المواطن الامثل ، ايماناً ومعاملة وشجاعة وثباتاً واخلاقاً وصراحة فما لان ولا هان ولا ذلّ ولا راوغ ولا كذب ولا خاف ، ولا فضّل نفعه ومصلحته على مصلحة الامة وخير الشعب ؟

ان من القوميين من خان ، ولكل قاعدة شذوذ . ولكن الذين خانوا ، كانوا نذراً يسيراً ، وهم من بقايا النفسية الانحطاطية التي رباها المستعمر في امتنا فسيطرت على جوهر نفسيتنا الاصيلة الجميلة !

وفي باقي المواطنين من هم مثاليون . نحن لا نحتكر النفسية والاخلاق . ولكن الفرق بيننا وبين باقي المواطنين الذين سمت انفسهم هو اننا جماعة تعمل بدافع من تعاليم سعاده وعقيدة اجتماعية تؤمن بها ، وسوانا يعمل بوحي فطرة امتنا السليمة الطيبة

لا من ضمن عقيدة وايمان اجتماعيين .

بهذه المثالية ، بهذا الدستور المناقبي ، بهذه القدوة نريد ان نقضي على الانهيار الخلقي الذي يهدد لبناننا الجميل .

خامساً: الفردية والعائلية والعشائرية والطبقية والاقطاعية

الفردية ام هذه الآفات . انها المرض الوبيل الذي تشترك فيه اكثر الاقطار الشرقية، المرض الذي يصور لصاحبه انه هو الوجود، كل شيء وجد من اجل راحته . وكل شيء مباح له من اجل ارضائه واسعاده . شعور المريض بهذا المرض ، انه لو استطاع ان يمسخ العالم حصاناً يركبه او بقرة يحلبها لفعل ساخراً باسماً . لو ان الصواعق نزلت على كل الناس ، واستثنته لبكى باقي الناس بعد وفاتهم ولكن ما حرك ساكناً لانقاذ احد منهم لئلا يتجرح فيه اصبع او يخدش له خد . حلال له ثروة غيره ، ومجد غيره . اللصوصية بشتى اشكالها والانتهازية بشتى الوانها واساليبها اسلحة من اسلحته العادية .

والفردية — وقد تأله بها الفرد واعتبر العالم ملكاً له — تدفع به ان يعتبر من بعده العالم ملكاً لعائلته ومن ثم لعشيرته ما دامت عائلته وعشيرته ملكاً له (والعشيرة في لبنان الطائفة) ومن بعدها لاقطاعته وطبقته .

فجاءت الحركة القومية الاجتماعية بنظرة سعاده الى الانسان — المجتمع بهذه النظرة التي تجعل من الفرد امكانية انسانية . ان الوجود الانساني الكامل هو المجتمع وحده . والمجتمع وحده الدائم، بينما الافراد زائلون . وان الانسان كائن اجتماعي . على هذه النظرة يتربى القوميون الاجتماعيون ، فينمون وهم

احساس حار دفاق بان انسانيتهم لا تتكامل ولا تنتصر فيهم اذا لم يكونوا اجتماعيين ، اذا لم يعتبروا ان كل ما فيهم للامة ، حتى الدماء التي في عروقهم ملك للامة متى طلبتها وجدتها .

ما من قومي اجتماعي الا ويرى نفسه معبراً للاجيال الطالعة ، معبراً لانتصار حزبه وقضيته وبالتالي مصلحة امته .

لا يعني هذا الشعور بان الفرد القومي الاجتماعي هو دودة في شرنقة ، تغلفه حتى الاختناق في اجتماعيته .

ان قولنا بانه امكانية ، معناه انه امكانية فاعلة ، وان فعله وعطاءه ، وتضحياته ، وبطولاته ، وتجرده الكلي في سبيل الخدمة العامة . فالامة امه وابوه وزوجه واولاده واحفاده ، الامة عائلته ، والوطن املاكه ، كل هذا يدور في فلك المجتمع ليرد اليه حياة سعيدة في امة سعيدة متحررة متفوقة ما كان لها ان تتحرر او تتفوق لو لم يكن افرادها قد تربوا في المدرسة الاجتماعية ، المدرسة التي انستهم انهم افراد آلهة لتذكرهم كل يوم انهم افراد جنود ، لان الامة بحاجة الى تجنيد ابنائها جميعاً فالاخطار الداخلية والخارجية تهدد مصيرها وحريتها من كل حدب وصوب .

القومي الاجتماعي لم يعد يحس بالعائلية والعشائرية لانه ، كما قلنا فوق ، يعتبر الامة عائلته وعشيرته .

والقومي الاجتماعي لم يعد يحس الا بان الاقطاع والطبقية آفتان تفسخان الامة فالاول يفسح المجال لاستغلال فرد لعدد كبير من المواطنين يستنزف قواهم ، والطبقية تفسخ المجتمع الى

طبقات تتناحر ، عوضاً عن ان تكون كلاً منسجماً متناسباً يتحرك بارادة واحدة الى الغايات العظمى في الحياة .

الطبقية ، ومظهرها الشيوعية والاقطاعية والاشتراكية المتطرفة ، آفة جديدة تتركز على فلسفة كلية لها نظرتها الشاملة الى الحياة والكون . انها آفة لتركزها على فلسفة يؤخذ بها البؤساء والمتألمون لتفتح لهم ابواب فردوس ارضي من النعم والخيرات ، على انهار من دم ووبال وظلم وطغيان ، وعلى جثث ابناء امتهم الذين ما اسعدهم الحظ ان يكونوا عمالا . وبينما النظرة القومية الاجتماعية تريد ان تبني الفردوس القومي الاجتماعي على عقول وسواعد ابناء الامة الواحدة جميعهم نجد الشيوعية والاشتراكية تريدان ان تبنيا العالم وطناً ، وان يكون هذا الوطن لقوم دون آخرين ، فينقلب العالم الى طبقات تتحارب بينما القومية الاجتماعية تعتبر العالم واقع مجتمعات ، وان على كل مجتمع ان يسعى لحياة فضلى ، وان يبني لنفسه العز والمجد والتفوق .

ان الشيوعية والاشتراكية — وهما عالميتان — تتنكران للقومية ، تعيبان على القومية تفسيخها العالم الى مجتمعات ، لان العالم برأيها مجتمع واحد او هو يجب ان يكون كذلك ، بينما هما تفسخان كل مجتمع — في كل وطن — الى جحيم طبقي ، عيناه مسحورتان على المنقذ الاعظم : موسكو . ويا ويلنا من الاستعمار الذي سلاحه الفلسفة انه فتح باسم دين جديد ، هيهات ان نستطيع او تستطيع الانسانية منه خلاصاً .

ان القومية الاجتماعية بضبطها جميع شؤون المجتمع ، بكونها

مدرسة تربي النفس القومية على منازع التضحية والمحبة ، بسهرها على تأمين التوافق بين مصلحة الامة والرأسمال والعمل ، باعتبار ان كل رأسمال من ملك او نقد او طاقة بشرية هو ملك للمجتمع ، تجعل كل مجتمع نعيما يشعر جميع ابنائه انهم مواطنون رفقاء واخوة توحدهم حياة واحدة ومصير واحد وتشدهم روابط المحبة والتعاون والتعاضد .

انهم كلهم شركاء وبنفس النسبة في ارض هـذا الوطن ، وخيراته ، والانتاج العام الذي هو حق عام .

هذه الشركة الروحية العامة ، هـذه الاجتماعية التي تلف المواطنين بذراعيها الحيرين ، لا تبقيان اثراً لتناحر او تباغض من اي نوع كان ، فلا فردية جامحة ، ولا عائلية طامحة ولا عشيرة تقاتل عشيرة ولا اقطاعي يمتص دم المزارعين والفلاحين ، ولا شيوعية او اشتراكية تبشران بالسلم العالمي — او الاجتماعي — وهما تحاربان حتى تغرقا كل وطن وامة ببحر من دماء سكانه في حرب لا تنتهي الا بالقمع والقهر .

ان الذي يؤلمنا ، نحن القوميين الاجتماعيين ، البررة بامتنا ، ان يصل ببعض مواطنينا اليأس الى **التطلع دائماً الى منقذ من خارج امتهم** : ان الشيوعيين والاشتراكيين ، يتطلعون الى روسيا كمنقذة لهم ولعمال العالم ، مع ان الواقع ان روسيا تنهج في سياستها الداخلية والخارجية نهجاً قومياً متطرفاً . انها لم تسخر حتى الآن مصلحة روسيا القومية لمصلحة العمال بل سخرت دائماً وفي كل بلد قوى العمال وآلامهم ويأسهم لتأييد سياستها الخارجية

مهما كانت، انهم مربوطون بعجلتها، متنازلون عن مصالح امتهم القومية، ينتظرون كلمة المشير الاجنبي. والانكى انهم يعتبرون هذا المشير منقذاً فيما هو مستعمر جديد، باسم الفلسفة. الاستعمار الفكري، برأينا، اقوى بكثير من الاستعمار بالحديد والنار، انه استعمار باسم دين جديد. وهذا شر الاستعمار.

سادساً : الدعوات والاخطار الخارجية

في اول خطاب تأسيسي القاه سعاده في اول اجتماع حزبي في اول حزيران ١٩٣٥ حذّر القوميين والمواطنين من الدعوات الاجنبية. وهو لم يفتأ يحارب هذه الدعوات في خطبه واحاديثه.

ولكنه كان يفرق بين محاربة الدعوات الاجنبية السامة وبين التعاون مع الاجانب. فقد اعلن في كانون الثاني ١٩٣٦ في المحكمة المختلطة : نحن لسنا شوفينيين (اي نحن لا نكره الاجانب).

والفرق بين محاربة الدعاوات الاجنبية والتعاون مع الاجانب واضح.

الدعاوات الاجنبية هي دعاوات تقوم بها دول لها مصالح في بلادنا ، لتزرع البغضاء في صفوف المواطنين ، وتفسد ضمائرهم ، وتربطهم في عجلتها وتستخدمهم لغاياتها ، فايطاليا والمانيا قبل الحرب العالمية الثانية ،وروسيا وفرنسا واميركا وانكلترا ، كل من هذه الدول وعلى درجات متفاوتة، تسخر عدداً من المواطنين للدعاوة لها ، بحيث يصبح المواطنون موزعين انصاراً لروسيا وانصاراً لاميركا وانصاراً لفرنسا وانصاراً لانكلترا عوضاً عن ان يكونوا وحدة متماسكة ، لا يصادقون او يناصرون دولة اجنبية الا بقدر ما تناصرهم وتنصرهم في المواقف الدولية وبقدر ما تتبادل واياهم من مصالح ومنافع في شتى ميادين الحياة.

ان بلادنا ، كانت ولا تزال مسرحاً « لحزبيات » تقوم على اساس

التحزب للاجانب بالرغم من ان هذه الحزبيات لم تجرّ على امتنا الا الوبال والدمار ، والطائفية نفسها لم تتغذ الا باموال الاجانب وتشجيعهم بالمبدأ الاستعماري الكبير :

« فرّق تسد »

فالقومية الاجتماعية وهي تستهدف بناء النفوس على اساس وحدة المجتمع ، وحياته وتفوقه ، لا تسلم اطلاقاً بوجود هذه « الحزبيات » ولقد نبذتها من صفوفها نبذاً كلياً ، مفسحة المجال في النفوس القومية لتعاون شريف وتعاقد محترم ، جار بايجاب وقبول ، على اساس ارادتين حرتين ، لا على اساس سياسة الفرض بالقوة او بالتحايل او بتسميم الجو القومي .

ان امتنا بفضل مركزها الستراتيجي وموارد ثروتها الطبيعية وتراثها الحضاري الممتاز المتفوق تستطيع ، متى تم وعيها لحقيقتها وحقيقة مصالحها ، ان تلعب على هذا الشاطىء دوراً رئيسياً في السياسة الدولية وان تتبادل المصالح مع الدول الاجنبية في تعاقد حر ، تؤمن فيه المصالح القومية تأميناً كلياً ولكن هذا التعاقد لا يؤمن ، برأي الحركة القومية الاجتماعية ، الا بعد تطهير الجو القومي من اذناب الاستعمار بشتى اشكاله وخصوصاً هذا الشكل الخطر شكل إلباس الاستعمار الاجنبي ثوب الفلسفة ، كما تفعل الشيوعية الدولية .

ان تمزيق بلادنا تم على ايدي الاجانب .

وموارد ثروتنا بايدي الاجانب .

وفلسطين خسرناها بفعل الاجانب .

والاسكندرون كذلك .

ولا يزال فينا من يؤمن باننا بحاجة ، الى الاجانب ليحمونا ، من بعضنا البعض ومن الغير ، واننا قاصرون عن حكم انفسنا بانفسنا .

ان هؤلاء مجرمون بحق الامة ، وان الحركة القومية الاجتماعية اعلنتهم وتعلنهم خونة وانها ستطهر صفوف المواطنين من وجودهم الخبيث الضار الهدام .

ان مركبات النقص التي مني بها جهازنا العصبي عبر اجيال الانحطاط والاستعباد والخلافات الطائفية هي الباب الكبير الذي تدخل منه الدعاوات الاجنبية ولا يقل عنها اتساعاً الباب الآخر وهو فرديتنا الجموح وانحلال شعورنا بالعزة القومية . ان عمال الاجانب ، يكتفون من دنياهم ان يردوا فضل امتهم عليهم جحوداً وكفراناً ، انهم يعتقدون انهم فوق الامة وفوق الشعب لمجرد ان لهم في عين السفير الفلاني او الدولة الفلانية حظوة وكرامة او منبعاً للذهب والمال . ان بيع الامة عند بعض الانفس المريضة التي لم تطهرها انوار المثالية وميزانها ، امر سهل هين . والقول بان شعبنا لا يستحق نعمة الاستقلال والسيادة ولا يستطيع التقدم والارتقاء يرسله جزافاً كل من شكا قوانين السير وقوانين الاجور او عرقلت له معاملة او قضي عليه بحكم قاس ، لا جزاءاً عليه ولا عقاب ، لذلك فالطعن في مقدسات الامة مباح .

ان العلاج الذي قدمته الحركة القومية الاجتماعية كائن في انها

لا تعزل لبنان عن واقعه الاجتماعي ، وتربط بينه وبين دول الهلال الخصيب برباط القومية الواحدة ووحدة الحياة والمصير والمصلحة . ان كل قومي يعتبر اغتصاب فلسطين اغتصاباً لجزء عزيز مقدس من ارض الوطن وكذلك اغتصاب الاسكندرون.

ان سعاده خلافاً لما يتشدق به بعض المغرضين ، اعلن النفير العام يوم حرب فلسطين وكان متأهباً لارسال فرقة اولى للقتال في جوار القدس ، وكل قومي يعتبر انه جندي مستعد في كل لحظة ان يعطي دمه للذود عنها وعن كل جزء من تراب الوطن .

كما ان سعاده كان اول من كتب رسمياً الى المفوض السامي الفرنسي دى مارتيل يعلنه بان القوميين متأهبون للقتال كفرقة قومية للذود عن الاسكندرون ضد الاتراك .

هذا من جهة ،

ومن جهة اخرى ، فان الحركة القومية الاجتماعية ، اعادت الى نفوس المواطنين الثقة بانفسهم وبامتهم وامكانياتهم العظيمة المادية – الروحية ، فالقوميون ومناصروهم حصون لا تدخلها الدعاوات الاجنبية ولا تؤثر في اسوارها المنيعة كما انهم الحرب الدائمة على كل عميل ، مهما كان اتجاهه .

ما من قومي الا ويعرف تاريخ بلاده ويعرف فلاسفتها وابطالها منذ فجر التاريخ فيعتز بامجادها ويعتز بتعصب لتلك الامجاد لا عصبية هوجاء رعناء بل العصبية الخلاقة المبدعة التي هي الضمان الاخير لاستمرار الصراع في سبيل التفوق الحضاري وصيانة المصالح القومية .

ان تعاليم النهضة ، كما ذكر سعاده في خطابه التاريخي في المحكمة المختلطة في ١٦–١٧ ك ٢ سنة ١٩٣٦ ، كما ذكرنا ، ليست شوفينية اي لا تعلم كره الاجانب . ان النهضة مع تقديسها لتراثها الثقافي والسياسي والحربي في ايام ازدهاره وعزه ، وتشبثها بالسيادة والاستقلال والمصالح القومية العليا ، تقول بالانفتاح على العالم ، الذي تشابكت مصالحه وتداخلت قضاياه فهو يحيا في التبادل المستمر بمعنى ان لا دولة مهما صغرت او كبرت الا وتحس ان الانعزال خطر على اقتصادها وكيانها وان تعاملها الحر مع باقي الدول او بعضها لا مندوحة عنه من اجل خيرها وسعادتها وصيانة حدودها وازدهارها .

ان القوميين الاجتماعيين يريدون ان يكونوا بالنسبة **للدول الاجنبية التي يتعاملون او يتعاقدون معها حلفاء لا اتباعاً** . اننا نرفض ما يقرر لنا ويفرض علينا ونتقبل مبدأ التعاقد على اساس تبادل المنافع . ان سيادتنا في دولتنا القومية ليست مظاهر واشكالا ، انها حقوق وتبعات . انها سيادة يغذيها وجداننا القومي باستمرار وتسندها قوانا المادية الروحية على الدوام .

ان وضوح الاساس الحقوقي – السياسي للحركة القومية الاجتماعية يقرر لها مواقفها ازاء العالم ومنه تصدر لاتخاذ اي موقف ازاء اي حلف او معاهدة او جبهة .

والحركة في قولها بالجبهة العربية وتوحيد السياسة الخارجية لدول العالم العربي واعتبارها هذه الدول وحدة عسكرية ازاء الاخطار الخارجية توجد ايضاً اسلوب التعاون الوثيق الواضح مع

عالمها العربي دون ان يكون هذا التعـــاون مشوباً بالعاطفية الرومانطيقية التي يحللها رفيقنا انعام رعد عند حديثه عن القومية العربية والقومية اللبنانية. وان عروبتنا الواقعية كما وصفها الزعيم، واوضحها رفيقنا الامين الجزيل الاحترام عصـــام محايري هي العروبة المجدية العروبة التي ستجعل ان يظل في العالم وزن للعروبة وشأن ورهبة وتنمي ثقتنا بانفسنا وشعبنا. ونقضي على اسطورة الحماية التي يريدها لنا الاجانب، حماية لمصالحهم لا حمايتنا. بهذه التعاليم والمباديء نجعل من حريتنا وحقنا القومي شيئاً يقوم على ارادتنا وقوتنا وبعد نظرنا وخططنا السياسية والعسكرية الواعية.

ان القضاء على البلبلة والخوف والتفرقة والشقاق، لا يكون بزيادة البلبلة والخوف والتفرقة والشقاق وتغذيتها كما يفعـل باقي الاحزاب والتشكيلات بل بهذه العلاجات الفعالة الواقية والشافية.

اننا رفضنا السلامة لافرادنا، لنقيم مبدأ السلامة العـــامة، سلامة ارض الوطن والارادة الشعبية.

ان الثورة التي ادخلناها في النفوس، في ايضاح مبدأ التعامل مع الاجانب، وهي جزء من ثورتنا الشاملة، هي السلاح الماضي الثمين الذي سيكون له فعله واثره يوم نستعيد اراضينا وحقوقنا ورهبتنا كأمة عظيمة وكشعب ممتاز، لا يحدث عن امجاده الماضيـة بل يتخـذ من الحديث عنها وسيلة لبنـاء امجـاد الحاضر والمستقبل لا بضياعها كما كانت حتى الآن ضائعة.

وقولنا بانشاء جيش قوي يكون ذا قيمة فعليـة في تقرير مصير الامة والوطن، سلاح آخر من اسلحتنا في استرداد اراضينا

السليبة وحماية حدودنا . اننا نعيش عصر القوميات وتنازع البقاء. وان جيشاً قوياً في نفسه، يحيا امجاد بلاده العسكرية القديمة منذ هاني بعل الى جيش معاوية السوري ، الى فرق السوريين التي قاتلت في شتى الميادين تحت رايات اجنبية ، هو الذي يضمن في الاخير ، انتصار امتنا على اعدائها الداخليين والخارجيين ، وهو الذي يقرر وزننا الدولي ، وهو الرسمال الاوحد لفرض هيبتنا وكرامتنا وحقوقنا على اي كان !

نحن لا نحارب الدعاوات والافكار الخارجية بمعسول الكلام. ان لغة الحديد والنار لغة نفهمها جيداً . واننا نربي نفوس شعبنا على حب الجندية ، وقيم البطولة والفداء والعطاء لنقضي على الميعان والجبن والانانية .

سابعاً : الصراع العقائدي الحر

قبل نشوء الحركة القومية الاجتماعية ، لم يكن في لبنان حزبية بالمعنى الصحيح . الحزبية الطائفية والعائلية وحدها كانت معروفة ، وتكتلات حول بعض الاقطاعيين او ارباب الجاه والثراء . والاستغلاليون الذين كانوا يناوئون الانتداب تزعموا الجماهير ، وما سجلوا بالخطب الحماسية والمقالات العنيفة واظهروا بعض الصلابة والعنف واحتملوا بعض الاضطهاد والتشريد لالهاب النفوس بحب الاستقلال كغاية ومثل اعلى . ولما حصلنا على الاستقلال بفضل الوثبة الشعبية والتقائها مع ظروف دولية ملائمة ضاع الذين جاهدوا من اجل الاستقلال وضاع معهم الشعب ، لانهم لم يكونوا قد وجدوا بعد قضية الامة الكفيلة بتحقيق الاصلاح الاجتماعي – الاقتصادي – السياسي الملبية المطامح الشعبية والمصالح القومية العليا ، القضية المنبثقة من صميم الحياة والعقل والعلم .

كما ان الاستقلال ذاته لم يرتكز الا على اساس التوازن الطائفي والميثاق الذي عرف بميثاق تشرين لم يكن الا عبارة عن اصلاح مستعجل تبلورت فيه ايضا بصورة بارزة ارادات الذين اعتبروا الاستقلال غاية فاقاموه على اساس توافق الطوائف اللبنانية على الاعتراف بالوضع الراهن بعد ان عدلت بعض المواد الشكلية في الدستور اللبناني وبقي في مجمله يحمل الطابع الانتدابي ، دون ان

يخطى به خطوة جريئة تدل ولو تلميحا على ارادة خيرة بتطور الاوضاع القائمة في طريق التقدمية .

واخذت الحكومات تتعاقب على الكراسي دون ان يكون في برامجها اي تفكير علمي باصلاح جذري لبناء الدولة اللبنانية بناء جديداً يخرج بها من المفاهيم العتيقة البالية ، لذلك استمرت الفوضى واستشرت المفاسد ، وكثر الانشقاق وذر قرن الطائفية بشكل رهيب مخيف ، ولا نزال حتى اليوم نسير من سيء الى اسوأ لان الاساس فاسد وما بني على فاسد لا يجر الا الفساد .

اما الحركة القومية الاجتماعية فقد كانت منذ البدء قضية كلية استنبطت الحلول الجوهرية لكل المشاكل القائمة ووضعت احجار الاساس في بناء الدولة المثلى واعلنت نفسها الدولة القومية الممثلة ارادة السوريين اصدق تمثيل (راجع خطاب سعاده في اول حزيران سنة ١٩٣٥).

وكان ظهور الحركة ومن بعدها كتاب نشوء الامم ثورة بحد ذاته .

فقد حدد سعاده معنى الامة القومية ، فكان كتابه «نشوء الامم» مجمع الاسس الفكرية للحركة القومية الاجتماعية ، التي كانت قد اعلنت على الملأ بعد انكشاف امرها ومحاكمة الزعيم واركانه في المحكمة المختلطة من ١٧ كانون الثاني الى ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٦ .

واحس الاجانب والطائفيون بخطر الحركة بعد ان التف حولها الشعب مؤيداً ، وتكاثر عدد القوميين الاجتماعيين ، كما

احسوا ان الاضطهاد والسجن والمحاكمة لم تكن الا وسيلة للاذاعة والاعلان عنها ، فجربوا وسائل الاغراء مع الزعيم واركانه فلما فشلت توسلوا ببعض محبي الظهور والزعامة وراحوا يدفعونهم لتأسيس « الاحزاب » التي سميت فيما بعد بالتشكيلات البيغائية . فظهرت تباعاً الكتائب والوحدة اللبنانية ومن بعدها النجادة والطلائع والنهضة ، كما كانت قد ظهرت عصبة العمل القومي التي اعتمدت الاساس القومي ولكنها قالت بالقومية العربية . وبعد الاستقلال ظهر حزب النداء القومي على غرار عصبة العمل القومي الا انه قام بوحي رياض الصلح وباجتهاد كاظم الصلح وتقي الدين الصلح وبعض اصدقائهم واتباعهم ، وان يكن في الظاهر قد اعتمد بعض المبادىء التقدمية دستوراً له وبرنامجا .

ان قول الحركة القومية الاجتماعية بالقومية السورية ، وتحديد الامة على اساس انها جماعة من البشر تحيا على بيئة معينة من الارض حياة اجتماعية واحدة ، تتميز بشخصيتها ومصالحها عن باقي الامم والمجتمعات ، ووضعها المبادىء الاصلاحية القائلة بفصل الدين عن الدولة والغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج ، وانصاف العمل وصيانة مصلحة الامة والدولة ، وانشاء جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الامة والوطن ، اهاب بالذين شعروا بخطر الفكرة الحق تلهب الجماهير وتكتلهم في نظامها المركزي البديع ، الى المقاومة العنيفة فاستبيح فيها كل سلاح ، وكل تحالف ، وراحت هذه المقاومة تتخذ احيانا شكل القتال الدامي ، او الجدل بالمحاضرات والصحف والمؤلفات

وحتى الجولان عبر الحدود والتبشير بين المهاجرين فارتفع بفعل الحركة القومية مستوى الصراع من طائفي رجعي عائلي اقطاعي سياسي اجنبي ، الى صراع عقائدي خصوصاً بعد ان ابتكر الكتائبيون فكرة الامة اللبنانية والقومية اللبنانية يسندهم في ذلك بعض القائمين على الحكم وبعض المثقفين كالسادة ميشال شيحا وشارل قرم وفؤاد افرام البستاني وشارل حلو وهنري فرعون وسواهم .

وابتدأت تظهر اهمية فكرة الحركة التي نشأت وترعرعت في لبنان وابتكرها دماغ لبناني ونشرها رجال من لبنان ، في قولها: تدعيم الاستقلال اللبناني **باعتباره نطاق ضمان للفكر الحر — للحرية .**

فالنقاش والنزاع العقائدي قائم في العالم المتمدن اجمع . وكل دولة في اوروبا تحتوي على احزاب وتشكيلات شتى تتنافس للوصول الى الحكم ، ولكل منها احياناً صحيفة تنطق باسمها لتسدد الضربات الى الاحزاب المناوئة او ترد عنها الضربات . ان هذا النزاع مظهر حياتي راق ، لان الافضل والانبل والاجمل لا يتحقق بفعل تطور ذاتي « انه نتيجة حركة وصراع « وديناميكية » فاعلة .

فالقائلون بالقومية العربية وبالقومية اللبنانية وبالاشتراكية العالمية او صنوها الشيوعية الماركسية كانت احزابهم او تشكيلاتهم تأسست بدافع طائفي او اجنبي ، ينشئون حول هذه الاحزاب والتشكيلات ادباً وتآليف وكتابات يقابلها ادب النهضة وانتاجها

الفكري الضخم ، فاذا بلبنان ، ميدان صراع عقائدي حر ، هو الاساس الذي اردناه له، لكي لا يظل طائفياً يوغر طبائع المواطنين بمركبات النقص وصدورهم بالتحاقد والتباغض ، بل يصبح دولة يتناحر رجالها على صعيد الفكر في سبيل التقدم والارتقاء كما يجري في ارقى بلدان العالم .

ان انتصار الحركة القومية الاجتماعية متى تم ، يضع حداً للصراع اذا تحول الى خطر على الوحدة القومية او ادى الى تفسيخ حيوية الامة او حال دون تطبيق المباديء الاصلاحية بشكل يضمن للنهضة تأمين الاستقرار وتحقيق المثل العليا التي تحارب في سبيلها .

اننا نقول بالحرية المسؤولة ، لا بحرية الفوضى .

ونقول بالصراع العقائدي لكن لا نقر تحول هذا الصراع الى شل الحياة القومية وعرقلة وثبة الامة نحو القمم التي قررت الانطلاق اليها .

اننا نؤمن بالتنوع ولكن ضمن الوحدة . ان كل المجاري الفكرية يجب ان تصب في هذا البحر الوسيع : مصلحة الامة العليا التي هي فوق كل مصلحة .

ثانياً : بناء الدولة اللبنانية المثلى القائدة

كثيراً ما نتهم « بالخيالية والمثالية » البالغة حدود الوهم . فالناس مع اعترافهم - في ما يشبه الاجماع - بصحة نظرتنا القومية وخصوصاً بصحة مبادئنا الاصلاحية القائلة بفصل الدين عن الدولة، والغاء الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب والغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العمل وصيانة مصلحة الامة والدولة وانشاء جيش قومي ذي قيمة فعلية في تقرير مصير الامة والوطن ، يعتقدون ان هذه المبادىء غير قابلة التطبيق في شعب يكاد يحيا بعقلية القرون الوسطى ويحكم بهذه العقلية ، خصوصاً لجهة التنافر الطائفي والانهيار المناقبي.

والواقع ان نظرتنا القومية ومبادئنا الاصلاحية انما وضعت كلها مستمدة من حاجة الشعب وفي خط يتفق مع خط نفسيته الراقية عبر الاجيال ، وبايمان مطلق بامكانيات هذا الشعب العظيمة وحقه في الحياة الجيدة العزيزة .

ان المساوىء والمفاسد وكل ما ذكرنا ، في سياق هذا البحث من اهتراء خلقي وتدهور روحي وافلاس مادي عائدة كلها لعدم وجود الدولة المثلى والقيادة الصحيحة بفضل اجيال الاستعباد والنفوذ الاجنبي ، وبفضل الطائفية والاقطاعية وتنافسهما على مراكز السلطة والجاه والثراء . ان فضائل شعبنا الاصيلة في حالة الخمول والهمود . ان النهضة القومية الاجتماعية ايقظتها وهزتها هزاً

عنيفاً فاذا بالفضائل والقيم تخلع اثواب الموت وتلبس اثواب الحياة وتنزل الى ميدان العراك والخلق والانتصار .

لقد حققت النهضة القومية ما كان يظنه الناس خيالا ومعجزة. حققته في الصفوف القومية الاجتماعية ، حققته في المناقبية القومية الاجتماعية . في قيم الحرية والواجب والنظام والقوة . حققته في ميادين النشاط الانشائي .

وهذا التحقيق الفعلي هو الذي يدفع بنا للقول بان لبنان يكون الحقل الممتاز لقيام الدولة القومية الاجتماعية المثلى لا لانه تطور في خط تصاعدي ارفع من باقي المناطق ، بل لان النهضة نشأت فيه وحققت اولى انتصاراتها فيه .

وقبل كل شيء ، ودون ان نخرج عن حدود هذا البحث ، نريد ان نمر بسرعة على مفهومنا للدولة .

الدولة هي مظهر سياسي من مظاهر الاجتماع البشري (نشوء الامم صفحة ١٤٢) بينما الامة واقع اجتماعي صرف .

واذا كان درس الدولة واسسها الحقوقيـــة السياسية وشتى اشكالها منوطاً بالعلوم السياسية ، فدرس الامة والقومية منوط كله بعلم الاجتماع .

واذا كانت الدولة مظهراً سياسياً للمجتمع فهي بالوقت نفسه مظهره الحقوقي فهي شخصية المجتمع وصورته . وبيدها السلطات والادارات العامة تؤدي عن طرقها وظائفها ومهماتها . الدولة اداة ووسيلة لتحقيق المجتمع ذاته عن طريقها ، فهي شكل من اشكال مساعدته على التفوق والازدهار والنمو .

واذا كنا نقول بان لبنان دولة لا امة . فلاننا فرقنا في البحث والاستقراء العلمي بين ما هو سياسي وما هو اجتماعي . فمن حيث علم الاجتماع ، لا يشكل لبنان الا جزءاً من امة هي الامة السورية . ومن حيث السياسة ، لبنان كيان سياسي ، قائم على اساس ظرف واوضاع معينة ، دولة تامة الاستقلال والسيادة من الناحية الحقوقية السياسية .

ان الذين يعتقدون اننا بقولنا ببناء الدولة اللبنانية المثلى على اساس قولنا بالقومية السورية نرتكب تناقضاً علمياً ، هم الذين لا يفرقون بين ما هو سياسي وما هو اجتماعي . وقد سبق وقام في العالم ، ضمن الامة الواحدة ، دول مستقلة كل الاستقلال . وان افضل مثل حي يعطى اليوم هو قيام دولتين في المانيا : الدولة الشرقية والدولة الغربية .

وعلى فرض انه لم يقم في اية بقعة من العالم كيان سياسي ضمن الكيان القومي ، فان المبررات الاجتماعية والسياسية الموجودة في بلادنا ، هي التي فرضت علينا – نحن الواقعيين – ان نقبل بالكيان اللبناني بل ان ندعمه كمركز ضمان للنهضة كما هو مركز ضمان للحريات العامة على اختلافها .

هذه الدولة اللبنانية ، التي نمحضها ولاءنا ، ونقر ان الظروف الاجتماعية والدولية الحاضرة تجعل منها **ضرورة قومية** ومركز اشعاع للفكر الجديد والنظام الجديد ، وموئلا للحرية والسماح ، وحقل اختبار للمباديء والتعاليم القومية الاجتماعية يؤهلها للقيادة والاشعاع الفاعل ، كيف نريدها ان تكون ؟

يتهمنا البعض اننا حزب دكتاتوري استبدادي ، واننا نازيون او فاشيون نؤله شخصاً ونريد ان نقيم في لبنان ـ اذا ما ولانا الشعب الاحكام ـ نظاماً شبه عسكري ينكر فكرة الدولة، بل تختلط فيه الدولة بحكم الفرد المطلق .

ان هذا الاتهام ـ ككل الاتهامات التي وجهت الينا ـ لا يقوم على اي اساس من الواقع او من المنطق .

ففي الواقع ، عندما وضع الدستور القومي الاجتماعي سنة ١٩٣٤ وصنف سنة ١٩٣٧ كان هذا الدستور يقوم على مبدأ التعاقد الحر . فسعاده يقدم مباديء وتعاليم تكفل تحقيق استقلال الامة السورية استقلالا تاماً وتثبت سيادتها واقامة نظام جديد يؤمن مصالحها ويرفع مستوى حياتها . والمواطنون المقبلون على دعوته يؤمنون بها ويقبلون سعاده زعيماً مدى الحياة ويؤيدونه في تشريعاته واداراته الدستورية . **سعاده يقسم يمين الامانة لهذه التعاليم والمباديء والمواطنون يقسمون يمين الامانة لها وللزعيم المؤسس.**

فدستور الحزب اذن منبثق من ارادة ووعي وايمان المواطنين، وهو لم يفرض عليهم بالسيف ولا بالاكراه المعنوى او المادي . انه ثمرة هذه الديموقراطية التعبيرية التي حددها سعاده في خطبه ، **الديموقراطية التي تعتبر مصلحة الامة والدولة اساساً لكل ديموقراطية ولا تقبل باية ديموقراطية تنقض هذا الاساس .**

واما دستور الدولة القومية الاجتماعية ، فسيكون منبثقاً من الارادة الشعبية ومعبراً عن اماني الشعب ومطامحه ، وخاضعاً لحقوقه في التقدم والتطور نحو الاكمل . ولقد صرح سعاده رسمياً

لمندوب وكالة الصحافة الفرنسية المتحدة في بيروت ، في حديث له سنة ١٩٤٧ حوالي الخامس عشر من شهر اذار بان نظام الدولة القومية الاجتماعية حيثما تسنى للحزب ان يتسلم الاحكام **سيكون جمهورياً ميالا لليسار** فالنظام الجمهوري هو النظام الامثل الذي وصلت اليه الحضارة الانسانية في تطورها السياسي ـ الاجتماعي ، على ان هذا التصريح ذاته الذي نذكره تأييداً لحجتنا باننا ديموقراطيون لا يقيد انطلاقنا فالنظام هو وسيلة يمكن ان يكون جمهورياً او ملكياً او رئاسياً ، على شرط واحد : هو تأمين المصالح القومية وضمان استمرارها واتاحة التفوق لها في جميع ميادين الحياة .

فالقول باننا نازيون ـ فاشيون ، بعد هذا التصريح ، وبعد المبدأ الذي نصدر عنه لتعيين نظام الدولة القومية الاجتماعية ، هو قول هراء ، لان النازية والفاشية حركتان تمركزتا حول شخص وقد زالتا بزوال هذا الشخص . ان الحركة القومية الاجتماعية قامت على فكرة ومباديء وتعاليم مستمدة من ارقى ما وصل اليه الفكر الاجتماعي ، واذا كان سعاده قد قبل زعيماً للحركة وقائداً لقواتها فتمركزت السلطات في شخصه ، فلم يكن ذلك الا بالاستناد الى دستور ونصوص غير قابلة التعديل الا بارادة مجلس اعلى يمثل الارادة القومية . فحتى سعاده وعبقرياته وبطولاته لم يكن هو الدولة . لقد كان زعيماً دستورياً . **وقد اثبت سعاده في استشهاده الرائع البطولي التاريخي ، ان الدولة القومية الاجتماعية قائمة على الايمان بعقيدة لا برجل** ، وان الايمان

بالرجل كان ناتجاً عن الايمان بالعقيدة ، هذه العقيدة التي كان يجسدها سعاده افضل تجسيد ويمثلها في عظمتها وفاعليتها وهي التي جعلت القوميين الاجتماعيين يتحملون كل انواع الاضطهاد والارهاق والعذاب والموت راضين مستبسلين ، لان هذه العقيدة كانت في نفوسهم حياة لا مجرد الفاظ واشكال .

ففي الحركة القومية الاجتماعية كما في الدولة القومية الاجتماعية لا اثر للاستئثار والاستبداد والتعسف لان ارادة الشعب ومصلحة الشعب وحياة الشعب هي التي نريد ان نعبر عنها في الدولة القومية المثلى التي نسعى لاقامتها في لبنان .

ان ما نشاهده اليوم من علل وامراض ومفاسد وميعان في شتى مظاهر الحياة في لبنان ، الحياة السياسية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، الثقافية والمناقبية ، ناتج عن كون الدولة تقوم على اسس مصطنعة عتيقة وبالية . لا شيء في لبنان من اسس الدولة الحديثة الا المظاهر والاشكال .

ان التعثر الذي نراه في الحياة العامة ، والشكوى والتذمر المستمر في كل مكان والهرب من لبنان وهو الفردوس الارضي ، دلائل على ان الحالة غير طبيعية والقيادة غير سليمة والاسس خاطئة بالية حيث توجد هذه الاسس .

اما نحن فاننا ننوي ان نجعل من لبنان الدولة المثلى القائدة ، فبعد ان نضع حداً للنظام البالي القائم الذي اثبت الفوضى والمهازل في الانتخابات التي مزقت وحدة العائلة والقرية واشاعت الرشوة والتزوير ، سنجعل من لبنان دولة مدنية « علمانية » كما

ذكرنا في مستهل هذا البحث . ومتى اصبح كذلك ورُكزت فكرة السلطة والحكام فيه على اساس الوعي الاجتماعي ، والشعور بالمسؤولية ، والتضحية في سبيل الصالح العام ، بعد ان يكون دستوره الاساسي قد نظم بالاستناد الى واقعه لا بالاستناد الى ما اراده الاجانب والطائفيون والاقطاعيون فهو سيصبح القائد والرائد في الدول السورية وقد يصبح مثالا يحتذى حتى في العالم الاوروبي الذي يتزعم اليوم الحضارة والتمدن .

متى قضينا على البلبلة والفساد والفوضى والعاهات النفسية والفكرية وفوضى برامج التعليم ودور الثقافة فان الاجهزة التي ستقوم على تسيير الشؤون العامة — شؤون الدولة — تصبح صالحة . لان التفاعل بين الشعب ومؤسسته بكامل اجهزتها امر لا بد منه . فاذا صلح الشعب صلحت الدولة ولا يعكس . لان القيادة الصالحة قد يفسدها او يخذلها مجموع فاسد غير واع تغره الانانية وعدم الشعور بالمسؤولية .

ان الاساس هو الشعب . ومتى صلح الشعب صلحت دولته وكافة مؤسساته العامة . لذلك كان همنا الاول بناء المواطن الواعي ، المواطن الصالح لان يكون عضواً في دولة بعد ان وعى حقيقة قوميته وامته . ان العلة في الاساس في النفوس الضعيفة المائعة المستهترة . ان القومية الاجتماعية ببنائها المواطن الواعي المثالي تكون قد هيأت المواد الصالحة لاستلام المصالح والمرافق العامة والسهر عليها لمصلحة الجماعة .

وتظل القيادة قادرة فاعلة في التوجيه والاشراف والعمل التربوي النافذ .

فاذا كانت الدولة وما ينبثق عنها من سلطات وادارات قد تركزت على اسس سليمة ، تسندها قوى شعبية كالقوى القومية الاجتماعية ، واعية ، مضحية ، مثالية ، فالدولة عندئذ تخرج من الظلمة الى النور ، ويقطع دابر الشكوى من الادارة والقضاء وفوضى برامج التعليم ويقضى على التدخل الاجنبي والطائفية والاقطاعية والشيوعية ويؤمن المواطنون على حريتهم وسلامتهم وسعادتهم وتتدفق رؤوس الاموال على البلد الآمن الراقي المطمئن الذي تمثله دولته الراقية الآمنة افضل تمثيل ، فاذا المشاريع الانشائية العمرانية ، واذا الازدهار الاقتصادي الثقافي ، واذا الفن والفكر والآداب والحياة الروحية السامية ، تشمل البلاد شمولا كلياً .

اية مشكلة ، في الدولة المثالية الراقية لا تحل واية علة لا تشفى ؟

ان كل مشاكلنا وعللنا متأتية من اسس فاسدة ووضع فاسد وتربية فاسدة كلها بحاجة الى نسف من الاساس لتبنى من الاساس. **ان طبيعة هذا العمل من طبيعة الثورة . لذلك كانت الدولة القومية الاجتماعية ثورة على الاوضاع الفاسدة .**

ومن المنطق ان نذكر ان الدولة التي اجهزتها بحاجة الى تربية لا يمكن ان تؤدي رسالة تربوية تقدمية . ولذلك ، كانت الحلول التي تقدمها النهضة القومية الاجتماعية حلولا اساسية ، لانها لا تريد فقط بناء الدولة كفكرة وقوانين وملاكات وصلاحيات واضحة . بل تريد ان تجهزها بالمواطنين الواعين الذين يدركون قيمة مؤسسة الدولة وماهيتها وطبيعة وجودها ورسالتها ، بالارادة الشعبية

الواعية المتفاعلة معها ، المنسجمة فيها ، ومتى تم هذا التجهيز ، لا نعود بحاجة كبيرة الى بيانات وزارية تظل حبراً على ورق ، ولا نعود نسمع صياح الصائحين : الاصلاح الاصلاح ، وجميعهم اصبحوا وزراء ونوابا ولم نلمس من احد منهم عملا مدروساً ولا نهجاً موضوعاً مستلهماً من الواقع ، لتحقيق هذا الاصلاح . انهم يريدون الاصلاح وينوون الاصلاح ويقرون الاصلاح ، ولكن اين لهم الارادة واين لهم القدرة واين منهم ثقة الشعب الذي لا يتحقق اصلاح بدون ثقته واين منهم الاسس الفكرية التي لا يقوم اصلاح الا على اضوائها وهدايتها واين الروح الثورية التي تعمر بها صدورهم لتمكنهم من القيام بعملية تركيز وبناء حاسم مهما كان ثمنه غالياً .

ان الحركة القومية الاجتماعية تحمل الى لبنان النظام الجديد، نظاماً جديداً يقضي على الاوضاع البالية من اساسها لكي يقضي على المفاسد التي كانت نتيجة لها .

النظام الجديد الذي يبدأ بهدم الوضع الراهن ، ضمن المحافظة على الدولة اللبنانية ، لثبوت فساده فساداً كلياً وعدم امكان اصلاحه ومن ثم ينفخ روح الثورة في المواطنين ضد الترهل والتخنث والميعان والخوف والانهزامية والاستثمار والاستغلال ، ويبني النفوس بناء جديداً ، ويدفعها نحو المثل العليا المستمدة من تاريخها السياسي — الثقافي ، انه سيجعل من المواطنين جنوداً ، تماماً كما تفعل الدول القوية الراقية بمواطنيها اذ تجندهم للخدمة العامة دون استثناء ، انه سيضع الفرد في مقامه الحقيقي

ضمن المفهوم الاجتماعي ، ومع اعتباره امكانية انسانية فاعلة ، يفسح له الجو نحو التفوق وانماء شخصيته وفرض مواهبه وكفاءاته وينطلق بعد ذلك لبناء الوحدة الاجتماعية الاساسية ، العائلة ، مجهزة **باحوالها الشخصية المنبثقة من فصل الدين عن الدولة وازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب** . انه من العار على لبنان ان يكون دولة العلم والنور وان يظل رازحاً تحت سلطان المحاكم المذهبية التي تجعل من كل طائفة فيه امة مستقلة . وان من العار على لبنان ان يحدث فيه ماحدث مؤخراً بقضية جورج شكر اذ كاد جرم فتى في سن الصبوة يؤدي بالبلاد الى فتنة ليس الضرر فيها ما تهرقه من دماء بريئة ، بل ما تجره من ويلات خارجية وما تعطيه من ادلة على التأخر والجهل والوحشية !

وفي الوقت ذاته ، تكون الادارة والقضاء وجميع حقول التشريع الاجتماعي — الاقتصادي (العمالي) قد تجددت حيويتها ، وانطلقت في تيار العمل البنائي ، مجهزة بجميع الوسائل المادية — المعنوية ، لتمكينها من القيام بواجباتها ، في احقاق الحق وتصريف شؤون المواطنين ، والمساهمة في ترسيخ النظام الجديد على الوجه الاكمل . ان الضمان الاجتماعي سيكون محققاً بضمان ازدهار البلاد . ان بلاداً فقيرة لا تتكمن من ان تضمن الا الفقر .

ان الجيش ، في الدولة اللبنانية المثلى القائدة سيصبح جيش هجوم لا جيش دفاع . وان ما يصرفه لبنان على المآدب

والزخرف والابهة والعيش المسترخي الهين فضلاً عما يمكن توفيره من سن نظام جديد للضرائب والموارد العامة **يستخدم لزيادة القوى المقاتلة ، وتأهيب الجبهة الخلفية — الشعب — لتكون جبهة احتياطية منيعة ، ان الشعب كله سيصبح جيشاً كبيراً متأهبا مؤمناً بان الحياة والحرية صراع وقتال . وسيكون التدريب العسكري اجبارياً لانقاذ الشعب من عاهاته ، من الذل والعبودية والاستسلام ، وتمرينه على مواقف الرجولة والكرامة والكفاح والموت في سبيل الوطن !**

ولن يسهى عن بال احد ، ان الدولة القومية الاجتماعية في لبنان ، وقد زالت بفضل وجودها فقط جميع العنعنات الطائفية ، وقضت على الجفاء والتنافس والاقتتال ، بين الطوائف وبين لبنان والكيانات السورية الاخرى ، **تضع لبنان دفعة واحدة في دورته الاقتصادية الطبيعية** ، فلا جمارك ولا اجازات مسبقة ولا طغيان من بيروت على دمشق او من دمشق على بيروت .

الدولة اللبنانية القومية المثلى التي ننوي اقامتها في لبنان ، **تقضي الى الابد على انعزاليته** ، وتضعه في صميم حقيقته القومية ، وتجذب اليه ، وقد اصبح بالفعل جنة الشرق ، جميع المواطنين ، الذين يصبح لبنان بالنسبة اليهم لا بلداً شقيقاً ولا جاراً جميلاً بل جزءاً منهم ، من وطنهم .

الدولة القومية المثلى التي نريد اقامتها في لبنان ستكون المنارة التي تهدي بنظامها الجديد الثوري الذي سيكون بالنتيجة

النظام القومي الاجتماعي الشامل ، جميع اجزاء الوطن السوري .

فمتى تحققت الدولة القومية المثلى في لبنان واستطاعت الحركة القومية الاجتماعية الانتصار في سائر الدول السورية ، فاين المواطن الحر الواعي الذي يمانع ان تصبح الدول السورية دولة واحدة ، ذات نظام واحد واهداف واحدة في الحياة ؟

وهب ان الوحدة السياسية لم تتم ، فهل انفع واجدى واقوى من هذه الجبهة التي تكون قد تحققت على ايدي القوميين الاجتماعيين ، الجبهة المنسجمة التي تقوم على فهم عميق لواقعها ، وعلى تحقيق مرام وغايات واحدة في الحياة القومية ؟

بهذه **الروح يعمل القوميون الاجتماعيون في لبنان للقومية السورية** . بهذه الروح يحبون لبنان حبهم الواعي العميق . بهذه الروح يريدون ان يسيروا بلبنان العقل والنور والطليعة الى مصير العز والمجد . بهذه الروح يريدون ان تنفتح امام لبنان آفاق التطور والنمو والازدهار التام . وبهذه الروح لن يعود لبنان تائهاً في العالم العربي تارة حكما وطوراً تابعاً ضعيفاً . ستكون سياسته سياسة واقعه الطبيعي . سيشعر انه والعراق والشام والاردن وحدة لا يمكن ان تتجزأ . فتصبح الوحدة الاقتصادية والسياسية والخارجية الموحدة والعمل العسكري الموحد اموراً مقررة لا مجال للاجتهاد فيها ولا للاخذ والرد . سيخرج من البلبلة والفوضى والاجتهادات الى الوضوح والاستقرار . وكذلك في السياسة العربية ، لن يكون لبنان تارة سعودياً وتارة مصرياً وطوراً هاشمياً . سيكون لبنان مع الدول السورية اللولب العامل بوعي وفهم

للجبهة العربية ، لهذه الجبهة العربيـة التي وضعتهـا الحركة القومية الاجتماعية هدفاً من اهدافها الاساسية . ستصبح الجبهة العربيـة جبهة متماسكة ، متلاحمة ، غير مهددة كل يوم بخطر ، ستصبح قوة عسكرية وسياسية تهز العالم !

ومن هنا نصبح في السياسة الخارجية اسياداً ، لا طابة تتلاعب بها الاهواء ولا بقرة حلوباً ولا حكما محبوباً ولكن غير مرهوب .

بهذا نكون قد ركزنا الدولة على اعمـدة ثلاث ، لا بـد لقيام كل دولة من تحقيقها :

المواطنون الواعون ،

الانظمة والقوانين الراقية المتوافقة مـع حاجاتها وواقعها القومي ، المنبثقة من قواعد النظام الجديد ،

القيادة الصالحة ، المثاليـــة ، المؤلفة مـــن ذوي الكفاءة والاختصاص ، ومن الذين مارسوا البطولة المؤمنـة وكانوا عقائديين حتى الموت .

خاتمة

هذه لبنانيتنا

لبنانيتنا ، وقد وضحت معالمها لكل ذي بصيرة ووجدان ، هي اللبنانية الصحيحة ، انها اللبنانية المنبثقة من صميم الحقيقة القومية ، الحقيقة العلمية المجردة عن كل الشوائب والعنعنات والعصبيات الباطلة ،

ان لبنانيتنا نور وهداية .

انها ثقة بلبنان ، وبشعبه ، وبقدرته على التحقيق والقيادة .

انها تشريف للبنان الذي نأبى ان يحقر العلم عن طريق تزويره التاريخ والجغرافيا والواقع الاجتماعي الحي ، انها تشريف للبنان ، الذي نأبى ان يكون منكمشاً على نفسه انكماش الخائف المذعور ، والذي نريد ، من ضمن حقيقته القومية ، ان يكون السابق الى الفتح ، والبطولات والقيادة .

ان الذين يعتقدون ان الكيان اللبناني ، القائم على التسويات والتوازن الطائفي ، هو الكيان الصالح ، الذي يجب ان نواليه ونؤمن به ونقدسه ، مخطئون وضالون .

ان لبنان الذي نريد له الاستقلال والسيادة هو لبنان القائم على اساس تأدية رسالة الوعي القومي ، والاصلاح الاجتماعي الاقتصادي الثقافي المناقبي ، القائم على اساس تقديس المثل العليا والقيم الاجتماعية القومية ، لبنان البطولات والعزة والمجد ، لبنان الهادي المشع ، لبنان الارز الخالد ، لا لبنان الكهوف والمغاور ، ولبنان الجبن والانهزامية والخوف ، ولبنان الاقطاعية والعقلية الرجعية .

لبنانيتنا هي الواضعة لبنان في مكانه ، هي الرافعة من شأنه ، هي المطلقة فيه تيار الرجولة والبطولة والكرامة ، هي الفاتحة امامه آفاق النور والحياة العزيزة الجيدة الهنيئة .

لبنانيتنا هي الجاعلة لبنان في مقام الشام والعراق والاردن وفلسطين ، لا القابلة بان يكون لبنان حليفاً لاسرائيل واي بلد آخر ، عدواً للعروبة بشرط ان يحافظ على كيانه .

لبنانيتنا هي المؤمنة بحقيقة لبنان ، وبجوهره ورسالته ، ولغيرنا ان يتمسك بلبنان على اساس انه وطن مسيحي ، طائفي — او اي شيء آخر .

ان لبنان الحقيقي ، لبنان الواعي ، لبنان المتحرر ، قد رفض نهائياً هذا الاساس .

انه يسير رويداً رويداً ليحقق ذاته وليصبح الدولة القومية الاجتماعية المثلى القائدة .

ليرجف بعدئذ المرجفون ، الذين نهدف ان نجعل منهم هذه الدولة ، باننا اعداء لبنان وخونة لبنان .

ان عدو لبنان وخائن لبنان هو الذي يريـــده ان يبقى متخبطاً في عقليته الحاضرة ، في اوضاعه الراهنة المهترئة .

اننا نحن اللبنانيون المخلصون الواعون ،

فليحي لبناننا نحن .

ولتحي سوريانا ...

للمؤلف

١ – وحي الظلام — شعر ١٩٤٥ (نفد) .
٢ – مصرع السمنة — فلسفة واجتماع ١٩٤٤ (نفد) .

تحت الطبع

١ – مصرع النسر — فلسفة وتاريخ .
٢ – دنيا اليتيم — قصة .
٣ – مذكرات
٤ – رسائل — أدب وسياسة .

●

جميع الحقوق محفوظة

تم طبع هذا الكتاب على
« مطابع لبنان »
في تشرين الثاني
١٩٥٤

قالوا في لبنان

أمين الريحاني : انا مؤمن بالوحدة السورية الجغرافية وبفصل الدين عن السياسة .

جبران خليل جبران : انا من القائلين بالمحافظة على وحدة سوريا الطبيعية وباستقلالها تحت حكم نيابي وطني .

فيليب حتي : تشغل سوريا مركزاً فريداً في المجاري العالمية خاصة لاشتمال حدودها على فلسطين ولبنان .

فؤاد عمون : ان سوريا – كاليونان القديمة – جزأت الى دويلات غبارية ولم تعرف الوحدة الا في عهد السلوقيين ، هذه الوحدة التي تصنع عظمة الامم وتضمن سلامتها .

سلمى صائغ : ولئن فصلتك جراحك الدامية يا لبنان عن سوريا فأنت أنت عين سوريا وقلب سوريا .

سعيد تقي الدين : لبنان و سوريا – هذه الواو الكافرة !

ندره مطران : ان لبنان جزء لا يتجزأ من سوريا .

مطابع لبنان – ☎ ٢٨٤٥٥

DATE DUE

JUN 03 2013

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0061924849

956.9
Q2

07468920

07468920
956.9
Q2 C1

BOUND
SEP 7 1955